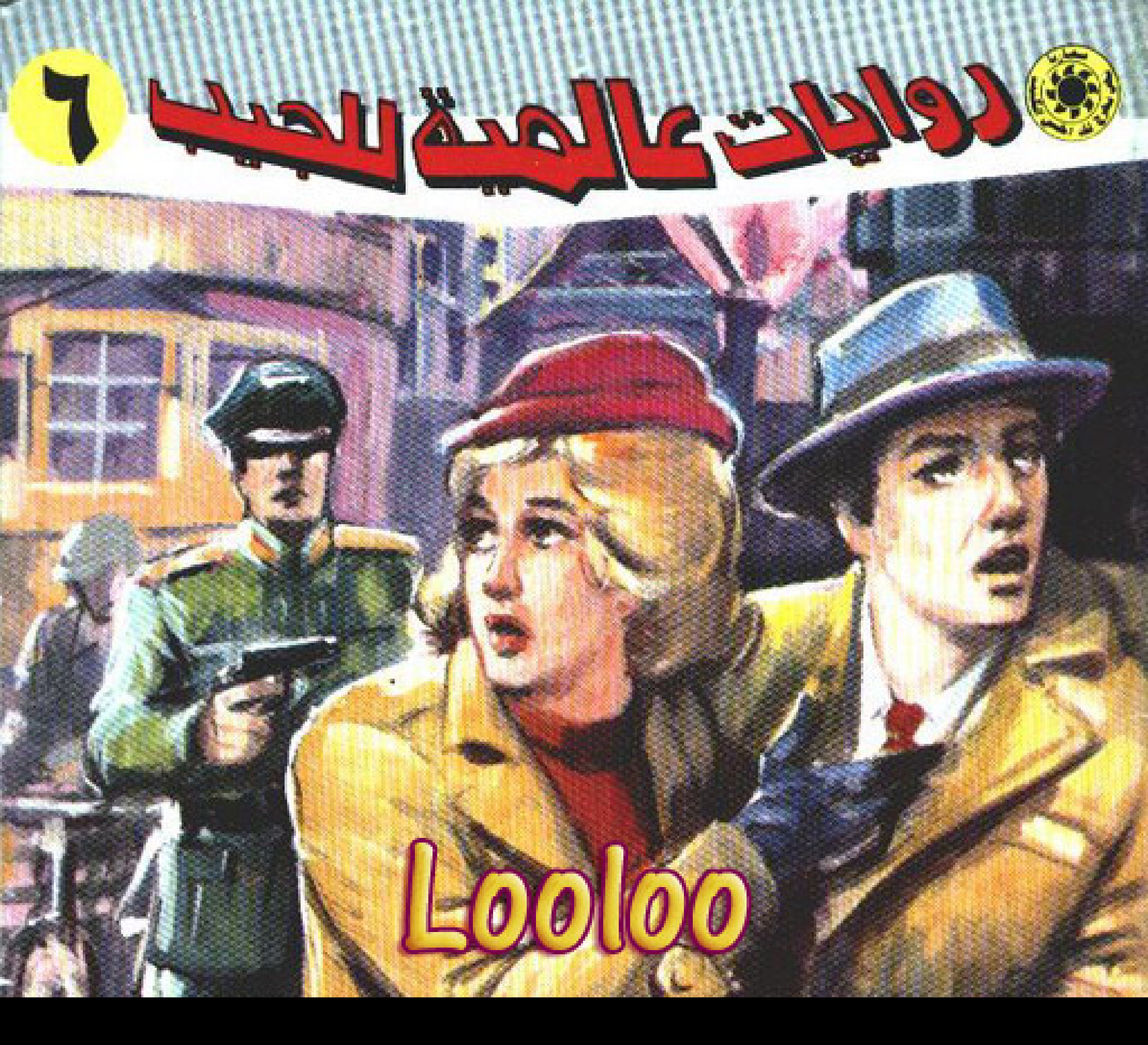


فوق مستوى الشبهات

تأليف : هيلين ماكينز
ترجمة : إيناس النجار
إعداد : د . نبيل فاروق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

١ - الزيـــارة ...

بدأ ذلك اليوم ، من أيام شهر يونية ، كأى يوم من أيام الصيف فى (أكسفورد) ، ومشت (فرانسيس مايلز) ببطء ، متجهة إلى الكلية التى يعمل بها زوجها ، وهى تنظر إلى أوراق الأشجار حولها ، تتخللها أشعة شمس الخامسة بعد الظهر ، فتمنحها ظلالًا برونزية بديعة ..

لقد تأخرت عن موعدها ، وها هى ذى تسرع الخطا ، وهى ترجو أن يكون مشغولًا كعادته ، فلا يشعر بملل الانتظار ، ولكن من الصعب أن تسرع فى يوم كهذا ، فقد كانت تستمتع بالخضرة والورود من حولها ، والمبانى الحجرية القديمة التقليدية ، وبمنظر بعض الشاب ، وهم يلعبون الكرة فوق العشب الأخضر .. وتوقّفت أمام نافذة إحدى المكتبات ، التى تعرض كتاب (ريتشارد) الجديد ، عن الشعر الإنجليزى ، والذى لاقى نجاحًا كبيـرًا ، وابتسمت لنفسها فى زجاج النافذة ؛ لأفكارها التى لم تكن شاعرية على الإطلاق ، فزيادة مبيعات الكتاب تعنى قضاء

عطلة الصيف مرة أخرى على الجبال .. مرة أخرى .. ربما تكون آخر مرة .. من يدرى ؟..

ففى الماضى كان كل ما عليهم هو تقدير أى الجبال يريدون تسلقها ، ثم يقضون الشتاء فى كتابة المقالات ؛ لمواجهة نفقات الرحلة بالقطار ، ولكن الأمر كان يزداد صعوبة عامًا بعد عام .. وتذكرت العطلات التى قضتها مع زوجها فى مناطق (التيرول) و (الدلوميت) .. تسلّق الجبال صباحًا ، وقضاء المساء فى فندق القرية ؛ للاستمتاع بالغناء والرقص والحديث الشيق ، والضحكات المبتهجة ، ولكن الآن انتشرت الأزياء العسكرية فى كل مكان ، ولم يعد للنكات أى طعم ، وأصبح الحديث مع الأجانب يؤدى فى النهاية إلى الشجار ..

لقد تناقشت مع (ريتشارد) فى كل هذا مساء الأمس قبل النوم .. كان يريد رؤية أوربا مرة أخيرة تسودها حالة السلم ، فما زالت هناك دول يمكن للمرء أن يتنفس فيها بحرية ..

وجعلها الشعور بالخوف من أن ينتهى كل هذا تتثاقل فى مشيتها ، حتى بلغت الكلية ، وهناك كان بواب الكلية

واقفا عند البوّابة ، فقالت (فرانسيس) ، وهى تحاول أن تبدو مبتهجة :

- كيف حال الطفل الجديد ؟

قال بفخر :

- على ما يرام يا سيدتى .. مستر (مايلز) ينتظرك فى حجرته .. لقد طلبنى تليفونيًا منذ برهة ؛ ليسأل عنك .. سأبلغه بوصولك حالًا .

تذكَّرت (فرانسيس) ، وهى تصعد السلم ، أنه قد تطوع فى الجيش ، بعد الاستيلاء على (براج) ، فى شهر مارس من ذلك العام ، ودقت باب الحجرة الخشبى الثقيل ، وفتح لها (ريتشارد) ، وعلى وجهه ابتسامة ، ثم أغلق الباب وراءها فى حرص ، وهو يقول :

- لدينا زائر يا (فرانس) .

كان الزائر (بيتر) .. (بيتر جولت) ، ولقد ابتسم وهو يصافحها بكلتا يديه بحرارة قائلًا :

- أهلًا يا (فرانسيس) .. تبدين مندهشة من رؤيتى .

- (بيتر) : وكلنا كنا نظن أنك فى (بوخارست) .. متى عدت ؟

- منذ أسبوعين أو ثلاثة .. لم يكن باستطاعتى الكتابة

لكما .. لقد شرحت ذلك لـ(ريتشارد) قبل مجيئك .. لقد قصدت ألا أكتب لكما .. كما أننى لن أستطيع البقاء معكما .. سأنزل فى فندق (منز) .

نظرت (فرانسيس) إلى زوجها فى دهشة ، وقالت :

ـ ماذا فى الأمر ؟

ناولها (ريتشارد) كأس شراب ، ثم ملأ كأس (بيتر) الفارغة قبل أن يقول بهدوء :

ـ (بيتر) واقع فى ورطة .

ـ ورطة ؟ .. (بيتر) ؟

وجلست على أقرب مقعد ، وهى تبدو قلقة فى جاذبية ، وقال (بيتر) ليطمئنها بسرعة :

ـ لا تقلقى يا (فرانسيس) كل شىء أصبح على ما يرام الآن ، ولكن كان لابد لى أن أعود .

ثم ابتسم وأضاف :

ـ بسبب حالتى الصحية بالطبع .

قالت (فرانسيس) وقد اطمأنت :

ـ بالطبع .

ولكنها كانت مازالت تنتظر إيضاحًا ، فقال (ريتشارد) بهدوء ، وهو يضع منفضة سجائر أمامها :

ـ لقد اشتبك مع جاسوس .

قالت (فرانسيس) . أرجو فقط أن تكون جاسوسة جميلة .. إذا كان على المرء أن يتورّط فى مثل هذه الأمور ، فلابد من أن يستفيد من الأمر .

ونظرت بابتسامة إلى الشاب الأنيق أمامها ، الذى وقف مستندًا إلى المدفأة ، والذى يبدو خجولًا هادئًا ، مثل أى ديبلوماسى صغير فى السفارة البريطانية ، وقال (بيتر) :

ـ للأسف كان جاسوسًا وليس جاسوسة ، وهو الذى تعرّض لى وليس أنا .

ـ إنك تبدو سهل المراس فى الحقيقة يا (بيتر) .. هل كان يريد قتلك ؟

ـ لم يستطع ذلك فقد اهتمت (بوخارست) بالأمر ولكن أصدقاءه قد يظنون أننى حصلت على معلومات كثيرة ، ويتابعون الأمر .. على كل حال لقد عدت الآن ، وأنتظر أن تهدأ الأمور .

شعرت (فرانسيس) أنه هناك شىء آخر وراء هذه الزيارة ، وقال (ريتشارد) :

ـ تكلم الآن يا (بيتر) ، فلا فائدة من الدبلوماسية مع (فرانسيس) ؛ فإنها تستطيع أن تستشف ما وراءها .

شرب (بيتر) كأسه وهو ينظر إليها ، كما لو كان يفكر فى الطريقة التى يبدأ بها ، ثم قال بجدية أعطته عمرًا أكبر من عمره ، وهو يتخيّر ألفاظه :

ـ أنا لم أعد أعمل فى وزارة الخارجية ، لقد أسندت إلىّ أعمال أخرى ، ولهذا السبب أنا هنا الآن .. إن هذه الزيارة لها سبب آخر ، وليس أمامى وقت طويل ..

أولا : لم أكن أريد أن يعرف أحد بعزمى على زيارتكما ؛ لذلك لم أتصل بكما مسبقًا ، حتى أن البوّاب لا يعرف أننى معكما الآن .. لقد أخبرته أننى سأزور مستر (ميريك) .. ذلك لأن لدى عملا لكما ، وأرجو أن توافقا على القيام به .. لا أظن أنه سيكون خطيرًا .. بل ربما يكون متعبًا ومزعجًا فقط ، إذا ما اتبعتما التعليمات بدقة ، إننا نحتاج إليكما ؛ لأنكما فوق مستوى الشبهات ، وتستطيعان التحرّك بسهولة .

قال (ريتشارد) :

ـ ما هو الأمر يا (بيتر) ؟

ـ سأقول لكما ، ولكن أرجو أن تستوعبا التفاصيل

بدقة .. إن أحد أسباب اختيارى لكما يا (ريتشارد) هو ذاكرتك القوية ، فاستمع إلىّ بتركيز .

هز (ريتشارد) رأسه ، واستطرد الآخر يقول :

ـ إنكما ستقومان برحلتكما الصيفية مثل كل عام ، وتسافران عن طريق (باريس) ، وهناك تقابلان شخصًا معينًا ، ثم تستكملان الرحلة طبقًا لتعليماته ، وفى نهاية الرحلة ستتمكنان من إخبارنا بمعلومات معينة ، نحتاج إليها بشدة ، وإليكما التفاصيل ..

عندما تصلان إلى (باريس) تصرّفا كما تفعلان دائمًا ، من النزول فى نفس الفندق ، والأكل فى نفس المطاعم ، وزيارة المتاحف والملاهى الليلية .. إستمرا فى ذلك بضعة أيام ، مثل أى سائح ، ثم ليلة يوم السبت اجلسا فى مقهى (كافيه دى لابيه) ، حول مائدة على الرصيف ناحية الشمال ، وستضع (فرانسيس) وردة حمراء فى شعرها .. لا تنظرا إلى أى شخص بالذات .. وفى حوالى الساعة الحادية عشرة يقوم (ريتشارد) بإسقاط كأس النبيذ أمامه بطريقة طبيعية ، وسيأتى (جرسون) المقهى ليمسح المنضدة ، وسيكون هذا والوردة الحمراء هما الإشارة ، فيقترب منكما رجل ، فيقول

أحدكما «مسز (روز) قالت لى إنه علينا أن نرى (.......) ، ثم يذكر اسم أى مكان قررتما رؤيته ، وتظاهرا بالكلام معًا بطريقة طبيعية ، ولكن يجب أن تنتبها إلى الرقم الذى سيقوله الرجل خلال كلامه ؛ لأن هذا هو مفتاح العملية كلها ، ثم إذا ذهبتما فى اليوم التالى إلى المكان المحدد بعد ساعة واحدة بالضبط من الرقم المعطى لكما ، سيتم الاتصال المطلوب مع الرجل ، وسنكون معه رسالة لكما ...

هذا أسهل بكثير مما تتصوران ، فإنه سيتعرّفكما من وضع المنضدة ، والوردة الحمراء ، ثم سكب كأس النبيذ ، ويكون أمام المنضدة فى الوقت المناسب ليسمع اسم المكان المحدد ، الذى اخترتماه فى الجملة الصحيحة ، ويقوم بتحديد وقت المقابلة فى اليوم التالى .. هل فهمت كل ذلك يا (ريتشارد) ؟

ـ نعم .. ولكن قبل أن نمضى أكثر من ذلك ، لماذا اخترتنا بالذات ؟.. فإننا سنكون مثل الهواة فى هذه العملية ، وقد لا نستطيع التصرف ، ولابد أن لها أهمية بالنسبة لكم .. إنكم تحتاجون إلى شخص ذكى ، واسع الحيلة ، ولا أعرف إذا كانت لدىّ هذه القدرة ، فى هذا المجال بالذات .. أما بالنسبة لـ(فرانسيس) ...

وهزّ (ريتشارد) كتفيه فقط ، دون أن يكمل العبارة ، فى حين بدا السرور على وجه (فرانسيس) ، وقالت :

ـ كم أحبك يا عزيزى .. استمر يا (بيتر) » .

واصل (بيتر) :

ـ عندما تصلكم الرسالة ، ستكون مكتوبة بشفرة ، وهذا أيضًا أحد الأسباب التى اخترت (ريتشارد) من أجلها ؛ إذ يمكنه التوصّل إلى مغزاها ، فعقليته مدرّبة على هذا النوع من العمل ، وهذه الرسالة ستقودكما إلى عميل آخر ، ثم يقوم بتوجيهكما إلى عميل ثالث ، وهكذا من عميل لآخر حتى تصلا إلى رئيس المجموعة .. إنه آخر الخط ، وهو الشخص الذى نقلق عليه ، وهذه هى البيانات التى نريدها ، وأعتقد أنكما ستجدان هذه الرحلة مثيرة ، والآن سأقول لكما السبب فيها .

وابتسم ابتسامة خفيفة ، ثم استطرد قائلًا :

ـ لقد سمعتما بما يسمى (قطار الأنفاق فى ألمانيا) .. أليس كذلك ؟ إنها شكل من أشكال المقاومة وتقوم بمساعدة رافضى النظام النازى ، للهرب فى سرية تامة ، ومن ينظم ويخطط هذه العمليات هو رئيس جماعة العملاء ، الذين ستقابلونهم ، كما أنه أيضًا يرسل لنا

معلومات هامة جدًا ، نستفيد منها ، ولكن منذ حوالى خمسة أسابيع لم تصل إلينا منه أية رسائل مفيدة ، بل إن اثنين من التقارير التى أرسلها كانت مضلّلة بشكل خطير ، ولحسن الحظ لدينا مصادر أخرى للمعلومات ، مما جعلنا نشك فى صحتها ، ولم نتصرّف أساسها ، ولقد تزايدت شكوكنا عندما اختفى تمامًا من الوجود اثنان ممن ساعد على هروبهم من (ألمانيا) ، ولم نجد لهما أدنى أثر .

وضعت (فرانسيس) كأسها ، وانحنت إلى الأمام فى انتباه شديد ، فى حين أمسك (ريتشارد) بسيجارة لم يشعلها ، وقد ركزا أعينهما على (بيتر) ، الذى تابع :

ـ ما نريد معرفته هو : أما يزال ذلك الرجل موجودًا ، وهل يقوم بإرسال معلومات خاطئة ؛ لينبهنا إلى أن الأمور ليست على ما يرام ، أم أنهم قاموا بتصفيته ؟! .. لذلك فإن مهمتكم هى أن تتبعوا الطريق المرسوم لكما ، عن طريق العملاء المختلفين ، على أن تتصرّفا دائمًا مثل السائح البسيط ، حتى تصلا إليه ، والمفتاح الوحيد الذى أعرفه هو أنه سيكون شخصًا بريطانى الجنسية .. الإنجليزى الوحيد فى سلسلة هؤلاء العملاء ، ولا أستطيع معاونتكما بتحديد اسمه أو شكله ، لأنه يغير ذلك دائمًا ..

وعلى كل حال عدم معرفة ذلك سيسهل الأمر لكما ، كما أنه الأفضل لنا جميعًا ..

وقد لا يبدو لكما أنه إنجليزى ، عندما تلتقيان به ، ولكن عندما تخبرانه بالدلائل التى يشير بها عليكما العميل الذى قبله ، ستجدان أنه إنجليزى فعلًا .

سأل (ريتشارد) :

ـ ولكن لماذا هؤلاء العملاء المتعدّدون ؟ لماذا لا يقوم العميل الأول فى باريس بتوجيهنا إليه مباشرة ؟

ـ هذه الخطة الذى قام بوضعها بنفسه .. لقد اخترعها لضمان سلامته ، وقد أثبتت نجاحها إلى الآن ، فإنهم كثيرًا ما يعملون فى أراض تحت الحكم النازى ، وكل عميل يعرف فقط اسم وعنوان العميل الذى يليه ، ويقومون بإرسال المعلومات عن طريق هذه السلسلة الطويلة ، التى تبدأ بالعميل فى (باريس) ، ولا يستطيع أحد اتباع هذه السلسلة ، إلا إذا عرف الطريقة المعقّدة لمقابلة العميل فى (باريس) ، ولا يوجد إلا مصدران فقط يعرفان هذه البداية نحن أحدهما ، والآخر فى مثل حرصنا أيضًا .

قال (ريتشارد) :

- وماذا عن البيانات التى يرسلها لكم ؟.. لابد أن لديه طريقة أخرى لها .

قال (بيتر) :

- نعم ، وهى طريقة أقصر بالطبع .. أعرف أننى قد أثرت اهتمامك يا (ريتشارد) .. هل هناك أسئلة أخرى ؟

- الخطة سليمة ومأمونة ، فيما عدا شيئًا واحدًا .. وهو أنه إذا وقع الرئيس نفسه ، فإن كل المعلومات التى ترسل له ستقع فى أيدى النازى ، ويمكنهم القبض على باقى العملاء ؛ إذا اضطروه للاعتراف ، كما أنهم بالطبع سيتوصلون إلى الأشخاص الذين يريدون مغادرة (ألمانيا) .

- بالضبط .. وهذا هو السبب فى مهمتكما .. وحتى الآن كانت خطته ناجحة ، ولم يستطيعوا الوصول إليه ، وتأكد من شىء واحد يا (ريتشارد) .. إن هذا الشخص مدرَّب تمامًا ، ولن يعترف بشىء ، ولابد لنا من أن نعرف أنه ما يزال يعمل أم لا ، قبل أن ينفجر البركان فى أوروبا .. لابد أن نتأكد منه ، قبل أن يحدث ذلك .

قال (ريتشارد) :

- نعم .. أنت محق فى هذا ، ولكن مازلت أرى أنه من

الأفضل إرسال شخص محترف فى هذه المهمة .

رأى (بيتر) أن مناقشة (ريتشارد) له دلالة طيبة ، فهو على الأقل لم يرفض القيام بالمهمة ، فقال :

- لقد أرسلنا شخصًا ، ومازلنا لم نتلق منه شيئًا ، ولذلك اقترحت على رئيسى فى العمل أن نحاول إرسال شخص غير متخصص ، فاثنان من السيَّاح يمكنهم التحرك دون شبهات ، وتذكَّر أنك لست عميلًا ، ولا أريد منك أن تحاول التجسس ، بأى شكل كان .. كل ما نريد معرفته هو ما إذا كان هناك شخص إنجليزى أم لا ، وإذا تعقدت الأمور بأى شكل ، فانسحب من الموضوع كلية .. إنكما تقومان برحلة الإجازة الصيفية فى الخارج ، مثل كل عام ، وبمجرد أن يجد أحدكما ذلك الرجل ، فإن مهمتكما تنتهى ، وربما لا تجدانه بعد أن تصلا إلى العميل السادس فى السلسلة ، فإنه لا يستخدم أكثر من ستة ، وستكونان فى أمان بسبب عدم وضوح مفاتيح العملية ، كما أنكما لستما من المحترفين .

سكت (ريتشارد) ، و(بيترجولت) يراقبه بعناية ، وعرف أنه قد وافق ، ولو أن اعتراضه الوحيد هو أن (فرانسيس) ستكون معه فى هذه المهمة . فقال (بيتر) :

- عندما تنتهيان أرسل برقية إلى هذا العنوان فى (جنيف) .

وكتب بضع كلمات على ورقة ، وأعطاها لـ(ريتشارد) ، الذى ما يزال يبدو قلقًا ، وأضاف :

- من الأفضل أن تحفظ العنوان عن ظهر قلب ، ثم تحرق الورقة ، وإذا ما وجدت الرجل فأرسل برقية تقول : «سنصل يوم الإثنين أو الثلاثاء» ، أو أى يوم يوافق اليوم الذى قابلتموه فيه فعلا ، أما لو لم تجداه ، فأرسل تقول : « أرجو إلغاء الحجز » .. هل فهمت يا (ريتشارد) ؟

- نعم .. تمامًا ، ولكن ألا تظن أنه من الأفضل أن أذهب بمفردى ؟ لا أريد أن أعرّض (فرانسيس) لأية مخاطر .

نظرت (فرانسيس) إليه ، وعرفت السبب فى تردّده ، فقالت بصوت منخفض ، ولكن بإصرار :

- (ريتشارد) .. لن أبقى هنا وحدى .

قال (بيتر) :

- أنا أيضًا أوافق (فرانسيس) ، فإنه منذ زواجكما لم تفترقا فى أية رحلة ، ومن الأفضل أن تفعلا ما تعودتما عليه ، كما أن وجود (فرانسيس) معك سيجعلك تتصرف

بحرص ، مما يضمن لكما السلامة .. أعرف أن ذلك الأمر سيفسد لكما الإجازة ، ولكن ..

توقّف (بيتر) ، وأخذ ينظر إلى (ريتشارد) فى انتظار قراره ، فى حين راح (ريتشارد) يحدّق فى الزهور الحمراء ، المزروعة على حافة النافذة ، وقال ببطء :

- الأمر ليس إفساد الإجازة ، فيبدو أن إجازات الجميع ستفسد هذا العام .. أعتقد فقط أننا لن نستمتع .

أخذ (بيتر) قفازه ومظلته ، وقال :

- إننى لم أختركما إلا لأننى متأكد من نجاحكما ، وكذلك للأهمية القصوى لنا فى هذا الأمر .. لقد كنت أتمنى أن أقوم بنفسى به ، لولا أنهم قد كشفوا أمرى فى (بوخارست) ، ويبحثون عنى الآن .. لقد أخّرتكما بما فيه الكفاية ، وأعرف أنكما مدعوان إلى حفل مستر (فرام) الليلة .. لقد قابلته هذا الصباح أمام الفندق ، ودعانى أيضًا .

قال (ريتشارد) :

- ما هى المدة المحدودة لهذه العملية ؟

- حوالى الشهر ؛ فإنكما ستقضيان بضع ليال فى كل مكان تذهبان إليه ، حتى يبدو الأمر طبيعيًا ، وتذكّرا أننى

لا أريد أن يشكوا فى أمركما ، وابتعدا عن أية مخاطر .. أرجو أن يحفظكما الله .. إلى اللقاء يا (فرانسيس) .. إلى اللقاء يا (ريتشارد) .. سأراكما بخير عند عودتكما .

ثم أغلق الباب وراءه بهدوء ، وساد الصمت فى الغرفة ..

كانت (فرانسيس) هى التى قطعت حبل الصمت ، فقالت وهى تنظر إلى نفسها فى مرآة حقيبتها الصغيرة :

ـ سنكون على ما يرام .. هيا بنا يا عزيزى فقد تأخرنا .. هل حفظت العنوان ؟

ـ العنوان ليس مشكلة يا (فرانسيس) .. إذا كان علينا أن ننسحب ، فالآن فقط هو الوقت المناسب .

وقفت (فرانسيس) وهى تعدّل رداءها ، ثم قالت :

ـ متى سنبدأ ؟.. بمجرد أن تنتهى من محاضراتك ؟

نظر (ريتشارد) إلى زوجته الجميلة برهة ، ثم تنهّد وقام يلتقط ذراعها ، وخرجا من الحجرة ، وراحا يتحدثان فى موضوعات أخرى ، وهما فى طريقهما إلى أسفل ، ولكن بقى فى أعماقهما شىء واحد لم يمكنهما كتمانه وإخماده ..

الخوف .

* * *

٢ ـ الحفلة ...

كانت الحفلة فى أوجها فى منزل (فرام) ، عندما وصل (فرانسيس) و (ريتشارد مايلز) ، ووقفا عند الباب تأهبًا لدخول المعمعة ، عندما تقدم منهما مضيفهما ويداه محملتان بزجاجات الشراب ، وقال :

ـ يسعدنى حضوركما ، وآسف على هذا الحشد المزعج .

ثم استدار ليرحب بوصول أشخاص آخرين ، وعلى الرغم من أسلوبه كانت (فرانسيس) تعلم أنه مسرور ، من كثرة المدعوين إلى حفله ، والضوضاء الشديدة من حوله ..

وابتسمت (فرانسيس) لـ(ريتشارد) ، قبل أن تدخل وسط خضم الناس ، وتذوب بينهم ، أما (ريتشارد) فقد تبيّن شخصين على الأقل ، كان يريد أن يقابلهما ويتحدث معهما ، ولكن (بيتر جولت) لم يكن قد وصل بعد ..

ووقفت (فرانسيس) فى أحد الأركان ، وفى الحال تقدّم منها ثلاثة من الشباب ، من اتجاهات مختلفة ، وبدءوا فى

الحديث معها ، كما يحدث فى مثل هذه المناسبات المرحة ، وتجنب الجميع الدخول فى المواضيع السياسية ، كما لو كان هناك اتفاق مسبق بينهم ، فقد كانوا يشعرون أنها آخر مناسبة اجتماعية سيلتقون فيها مع بعضهم لمدة طويلة ، وأرادوا أن تكون مناسبة سعيدة ..

تناقشوا فى الفن ، ومعارض (لندن) ، والمعالم المعمارية الشهيرة فى (أوربا) ، وكانت ذراع أحدهم (مايكل) مضمدة ومعلقة بالأربطة الطبية فى عنقه ، فقد أصيب بشظية فى (برشلونة) ، وهناك احتمال لبتر ذراعه ، وذلك عندما كان فى الفرقة الدولية هناك ، ولكن الجميع تجنب الحديث عن ذلك ، وسمعوا فجأة من يقول بلهجة (أكسفورد) المثقفة :

ـ كم أنا سعيد بالعودة إلى (أكسفورد) ، والابتعاد عن متاعب الحياة .

كان المتكلم طويلا ووسيما بشكل ملحوظ ، وفى وجهه ندبتان ، واحدة فى الصدغ ، والأخرى فى الذقن ، من أثر جروح قديمة ، مما أعطى وجهه الأشقر صفة خاصة ، وقال وهو يبتسم :



تقدم منهما مضيفهما ويداه محملتان بزجاجات الشراب ..

ـ مسز (مايلز) .. جذابة كالمعتاد .

وانحنى فى شدة وهو يصافحها . فقالت (فرانسيس) :

ـ أهلًا .. كيف حالك ؟

ثم قامت بتقديم الآخرين :

ـ الهر (سيجردفون آشنهاوزن) ، (جون كلارك) ، سير (مايكل هامبتون) ، (جورج ساندرسن) .. لقد كان هر (فون آشنهاوزن) زميل (ريتشارد) فى الدراسة .

ابتسم الجميع بأدب ، ولو أن الجو أصبح متوترًا ، على الرغم من المودّة الظاهرة فى صوت (فون آشنهاوزن) ، إلا أن (فرانسيس) كانت تعرف أنه تحت ستار أدبه الواضح ، فهو فى الحقيقة لا يقدّر الإنجليز ، على الرغم من أنه قد تعلّم فى ثلاث جامعات ، واحدة فى (ألمانيا) ، وواحدة فى (انجلترا) ، والثالثة فى (أمريكا) ..

وأشعل (مايكل) سيجارة ، فقد كانت لديه حساسية شديدة نحو الألمان ، منذ ركله أحد الجنود خلال مشاهدته لاستعراض عسكرى فى (ليبزج) ، منذ أربعة أعوام ، لمجرّد أنه لم يقم برفع يده بالتحية فى الوقت المناسب ، أما الآخرون فقد حاولوا متابعة الحديث ، وهم يرجون

أن ينسحب الرجل من بينهم ، ولكن ذلك لم يحدث ، وحاولت (فرانسيس) أن تزيل التوتر فتكلمت عن الإجازة الصيفية ..

كان الشباب سيقضون إجازتهم فى (فرنسا) ، أما (فون آشنهاوزن) فسيعود إلى (برلين) وقالت هى : إنها و (ريتشارد) يريدان التوجّه إلى الجبال ، مثل كل عام ، وسألها (فون آشنهاوزن) :

ـ أين بالضبط تريدان الذهاب ؟

ـ لقد كنا فى (التيرول) العام الماضى ، وأريد الذهاب إلى هناك أيضًا هذا العام مرة أخرى ، قبل أن ينفجر البركان .

كان صوتها ناعمًا وهى تتكلم ، ولكن الألمانى قال فى برود :

ـ ماذا ؟ فى (انجلترا) لن يكون هناك حرب .. انظرى إلى من حولك .

كان المعنى واضحًا ، حتى أن (مايكل) قال ، وهو ينفض دخان سيجارته :

ـ هناك حد لكل شىء .. إلى اللقاء يا (فرانسيس) ، لابد لى من الرحيل .. أتمنى لك رحلة سعيدة هذا الصيف .

وانسحب الآخرون أيضًا ، وبقى (فون آشنهاوزن) ،

وتخلصت (فرانسيس) من الحرج الذى تشعر به ، وتذكرت أنه كان فى الماضى شخصًا ودودًا مرحًا ، وكان له العديد من الأصدقاء ، عندما كان فى (أكسفورد) ، وتساءلت فى نفسها عن الدور الذى يقوم به الآن فى (ألمانيا) الجديدة .. لقد كان يكره الحديث فى السياسة من قبل ..

حاولت أن تقول شيئًا لبقًا ، ولكن الأمر كان صعبًا فى هذا الصيف ، من عام ١٩٣٩ م ، فالجميع لديهم الإحساس بجنسياتهم ، وعلى أية حال فقد سبقها (فون آشنهاوزن) ، وقال :

ـ « أخشى أننى لم أرق لذلك الشاب ، أكان ذلك لأننى ألمانى ، أم أن هذا هو أسلوبه المعتاد ؟ .. أشعر بالطبع أن هناك تغيرًا فى معاملة الناس لى .. منذ ست سنوات كانوا أكثر مودة نحوى ..

وابتسم بشىء من الحزن ، وهو يستطرد :

ـ فى الحقيقة من المحزن أن يرى المرء الأفكار السيئة ، التى يحكم بها الناس على بلده .. والسبب بالطبع هو الصحافة التى تضللهم .

قالت (فرانسيس) :

ـ ولكن ألا ترى أنه من الغريب أن تسود الانتقادات ، الموجَهة إلى (ألمانيا) دولًا كانت تعتبر فى الوقت القريب من أصدقائها ؟

ونظرت إليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين ، دون أن ترمش ، فقال بعد لحظة :

ـ حتى أنت تغيرت .. من المؤسف أن أعود إلى (أكسفورد) لأجد نفسى هكذا وحيدًا .

ـ ربما يرجع ذلك إلى التغيير الذى حدث لك ، وليس لنا » .

بدت عليه الدهشة ، وقال :

ـ لا يا مسز (مايلز) .. لا يمكن أن أكون قد تغيَرت إلى هذه الدرجة ، فما زلت أهتم بالموسيقى والأدب ، ولم أصبح همجى التصرفات ، أما من الناحية السياسية ، فقد تطورت وأصبحت أكثر واقعية عن ذى قبل .. لقد رأيت الحماقات التى ترتكب باسم المثالية والفكر المجرَد .. النـــاس تحتـــاج إلى قيـــادة قويـــة ، حتى يتحقق لهم ما يريدون .. وفى البداية عليهم أن يتقبَلوا السيئ مع الطيب ، ولكن فى النهاية سينسون الأشياء السيئة ، عندما تتحقق لهم المزايا العظيمة .

كان حماسه يزداد وهو يتكلم فقالت (فرانسيس) :

ـ تعتقد أنك لم تتغير على الرغم من أنك ، تحت هذه القيادة التى تتحدث عنها ، لا يمكن أن تقرأ إلا كتبًا محدودة ، وتستمع إلى موسيقى محدودة ، ولا تنظر إلا إلى صور خاصة ، ولا تصادق إلا أشخاصًا بعينهم .. ألا يضع ذلك القيود على تفكيرك ؟

ـ نعم .. إنه يضع القيود التى تجعلنى لا أرى إلا الجيِّد فقط ، وهو الأفضل للناس فى النهاية .

ـ ومن الذى يحدد لك ما هو جيد وما هو سيئ ؟ أهو حكمك الشخصى ، وقد تعلمت فى (هايدلبرج) و(أكسفورد) و(هارفارد) ، أم هو حكم القائد الذى فرض نفسه عليكم ، وهو لا يستطيع حتى أن يتكلم الألمانية دون أخطاء نحوية ؟

لم يعجب كلامها (فون آشنهاوزن) ، ولم يكن لديه رد حاضر ، وكان صوتها ما يزال هادئًا ناعمًا ، وهى تضيف :

ـ أرأيت كيف أنك قد تغيرت .. هل تذكر الأستاذ القادم من (رودس) ، والذى سبقك هنا .. رجل ذكى هادئ ، وفى منتهى اللطف .. ماذا .. كان اسمه ؟ (روتا) .. أليس كذلك ؟.. لقد كنت تعجب به وقتئذ ، ولكن أين هو الآن ؟ فى (أورانينبرج) كما سمعت .

قال (فون آشنهاوزن) فى لا مبالاة :

ـ إن كل هذا كلام عاطفى يا مسز (مايلز) .. لقد حان الوقت ليرى البريطانيون حقيقة الأمر .. إن (أوروبا) الآن تفتقر إلى النظام والإجراءات الشديدة .. لقد أصبحت (أوروبا) أكثر خطورة عنها منذ ست أو سبع سنوات .

ـ وما الذى جعلها كذلك ؟

ضحك دون مرح ، قبل أن يقول :

ـ إنك متحيزة تمامًا .. أظنك الآن ستلقين علىّ محاضرة عن الإدعاءات الشريرة لـ(ألمانيا) ، وحقها فى التوسع الطبيعى .

ـ على العكس من ذلك إننى أرى أن للجميع الحق فى الحرية ، سواء أكانوا من الألمان أو اليهود أو التشيك أو البولنديين .

امتلأ صوته بالغضب الشديد ، وهو يقول :

ـ مثل هذه الأفكار هى التى أضعفت (بريطانيا) ، فى السنوات الخمس والعشرين الماضية .. كان فى استطاعتها أن تحكم العالم كله ، وبدلًا من ذلك حوَّلت الإمبراطورية إلى (كومنويلث) لا يقوم حتى بمساعدتها فى الحرب ، إذا كان عليها أن تحارب .. لقد تركت ثروات (الهند) دون استغلال ، وحاولت فرض حكومة نيابية

على الهنود ، الذين كانوا سيرفضون ذلك ، وقامت بمعاداة (إيطاليا) بفرض العقوبات عليها .. إنها تضعف من نفسها طوال الوقت ، معتقدة أنها تقوم بعمل تحسينات فيما حولها .

« إنكم تتكلمون بجدية أكثر من اللازم فى هذا الركن » .

كان المتكلم (ريتشارد) ، الذى اقترب منهما دون أن يشعرا ، فقالت (فرانسيس) :

ـ لقد كنت أستمع إلى محاضرة سياسية .

أدركت (فرانسيس) أن (ريتشارد) ينظر إلى خديها المتوهجين من فرط الانفعال ، وابتسمت محاولة أن تحتفظ بهدوئها ، كما شعرت كذلك بأن (فون آشنهاوزن) يفعل ذلك أيضا ، وأنه غير مرتاح للانطباع الذى تركه لديها ، وكان فى غاية الأدب وهو يصافحها ، قبل أن يرحلا ، وانحنى يحييهما وهو يقول :

ـ أرجو أن نتقابل مرة أخرى ، ولا تقلقى يا مسز (مايلز) ، فـ (انجلترا) لن تحارب .. إنكم جميعًا مسالمون هنا .. أرجو أن تمضيا رحلة سعيدة .

قال (ريتشارد) :

ـ أرجو ذلك .

وابتسم وأمسك بذراع زوجته ، وقادها نحو الباب ، ولوّحا للمضيف فى طريقهما إلى الخارج .. إلى الهدوء والهواء المنعش الطلق ، وقال (ريتشارد) بصوت منخفض :

ـ لقد اتجهت إليك بأسرع ما يمكن ، عندما رأيتك تتناقشين معه .. لقد كنت أعتقد أنك أعقل من الدخول فى نقاش مع رجل نازى .. إنه نازى فى رأيك أليس كذلك ؟

ـ نعم .. وأظن أنه لم يكن يرغب فى أن يبدو كذلك ، ولكننى أثرت غضبه .

ـ ما يهمنى هو ما الذى قاله حتى تغضبى أنت .

ـ هل كان ذلك واضحا ؟

ـ بالنسبة لى نعم ، ولكن لم يلاحظ ذلك أحد .. ما الذى أغضبك ؟

ـ نقده لـ(بريطانيا) .

ـ على أية حال ، أرجو ألا تكونى قد أظهرت ذكاءك أمامه ، فـ(بيتر) يريد منا أن نبدو مجرد أناس عاديين بسطاء .

اندهشت (فرانسيس) وقالت :

ـ ولكنى كنت أظن أن هذه المهمة لن تبدأ الآن على الفور .

- ربما لا ، ولكن (بيتر) لا يريد منا أن نتهاون .. إنه أيضًا لم يحضر إلى الحفل .

- ربما غير رأيه .

- ربما .. أو ربما لأنه لا يريد أن يقابلنا مرة أخرى ، وهذا هو الأرجح .

كان صوت (ريتشارد) يتسم بالكآبة ، وضغطت (فرانسيس) ذراعه ، وهى تقول :

- ابتهج يا (ريتشارد) وإلا فستجعلنى أقلق .

ابتسم (ريتشارد) فى الحال ، ولكن الشمس كانت قد اختفت ، واختفت معها الظلال البرونزية على أوراق الشجر ، وخلت الملاعب فى طريقهما من اللاعبين ، وهما يسيران ببطء نحو المنزل ، وقلباهما يخفقان فى قوة ، ورهبة ..

وفى خوف .

★ ★ ★

٣ - وداعًا للأمان ..

تم إعداد كل شىء بسرعة ، ولم يبق سوى رحيل الطباخة (آنى) ، ذات الأصل الألمانى ، والتى بكت طويلا قبل رحيلها ، وقالت : إن أختها حذرتها من العودة إلى (انجلترا) مرة أخرى ، فإذا ما نشبت الحرب سيرجمونها هناك بالحجارة ، ولقد أبدت (فرانسيس) دهشتها للفكرة ، ولكن (ريتشارد) اكتفى بتهدئة (آنى) ، ومنحها مكافأة طيبة ، ثم تركها تنصرف باكية فى حرارة ، وهى تودعهما بكفيها فى امتنان حزين ، ولم تكد تنصرف ، حتى تنهدت (فرانسيس) ، وقالت :

- كنت أخشى هذه اللحظة .. الآن لم يعد أمامنا سوى الرحيل ، حيث أضع الوردة الحمراء ، وتسكب أنت كوب الشراب ، حتى تثير دهشة وانتباه المقهى كله ، ثم لا يحدث شىء ، ونكشف فى النهاية أن الأمر كله مجرد مزاج ثقيل من (بيتر) .

ضحك (ريتشارد) ، وقال :

- مهما كان الأمر يا (فرانسيس) ، فمن المؤكد أنها ليست نزهة .

سألته شاردة :
- أتعتقد أنه ستكون هناك حرب حقيقية هذا الصيف ؟
أجاب بعد لحظة من الصمت :
- الجميع يظنون هذا ، ولقد سمعت أحدهم أمس يقول :
- إنه ما من شيء مضمون ، فالأمر كله يتعلق بنزوة رجل واحد .
قالت في حنق :
- يا للسخافة ! .. أيظن نفسه إلهًا ؟
ربت على كتفها ، وقال :
- لا فائدة من مناقشة مثل هذه الأمور .
لم ترد ، ولكنها كانت توافقه على هذا القول ..
لا فائدة من المناقشة ..
المهم أن يبدأ العمل ..
العمل الجاد ..

★ ★ ★

توقف القطار في (دييب) ، بعد عبور (المانش) ، واسترخت (فرانسيس) في مقعدها ، تراقب القادمين ، وجلس أمامها (ريتشارد) ، وقد أسند رأسه إلى ظهر المقعد ، وأغلق عينيه ، وغرق في صمت عميق ..
وعندما بدأ القطار حركته ، دلف إلى المقصورة شابان ، وضعا حقائبهما فوق الرف ، دون أن يتبادلا حرفًا

واحدًا مع (فرانسيس) أو (ريتشارد) ، وبدا من الواضح أنهما طالبان ، مع حلتهما الرمادية الداكنة ، المخططة بأقلام رفيعة بيضاء ، والحذاء البني المصنوع من (الشامواه) ، ورباط العنق الذي يحمل شعار الكلية ، التي جاءا منها ..
وفي البداية حاولت (فرانسيس) أن تستشف من زيهما وملامحهما شيئًا ما ، وقد بدا لها أن كل ما يحيط بها ينتمي إلى عالم الجاسوسية والإثارة ، ولكنها لم تلبث أن شعرت بتثاقل في جفنيها ، فلم تكن قد نامت أكثر من أربع ساعات في الليلة الماضية ، ثم استيقظت فجأة ، والقطار يتوقف ، ورأت (ريتشارد) يناول أمتعتهما لأحد الحمالين ، فاعتدلت وسألته بصوت مبحوح :
- هل وصلنا ؟
كان الطالبان قد انصرفا ، ولم يبق سواهما ، فأجابها مبتسمًا :
- نعم .. هل نعمت بنوم طيب ؟
أجابته بالإيجاب ، ثم لم يتبادلا حديثًا آخر ، حتى وصلا إلى ذلك الفندق الصغير ، في قلب (باريس) ، والذي قضيا فيه إجازتهما السابقة ، وهناك سألته في اهتمام :
- هل تحدثت مع الشابين في القطار ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. إنهما من جامعة (كامبردج) ، وحديثهما مبهم بعض الشيء ، ولكنهما أشارا فى حديثهما إلى (تشيكوسلوفاكيا) ، ثم بترا حديثهما بغتة ، وكأنهما لا يرغبان فى الاستطراد ، ولم أشأ سؤالهما عما يعنيه هذا .

كانت تعلم أنه من اللياقة ألا يفعل ، ولكنها كانت تتمنى معرفة ما يعنيه حديثهما عن (تشيكوسلوفاكيا) ، فى هذا الوقت ، فمطّت شفتيها ، وتنهّدت ، وهى تفتح النافذة ، وتتطلّع إلى المبنى المقابل ، و ...

وفجأة لمحته ..

لمحت ذلك الرجل الضئيل ، الذى يراقبهما من حجرته بالمبنى المقابل ..

وكان هذا يعنى أن الخطر قد أعلن عن وجوده ..

وبدأ جولته ..

★ ★ ★

انتهى شهر (يونيو) مع نهاية الأسبوع الأوّل لهما فى (باريس) ، وكانا يستمتعان بإجازتهما فعليًا ، دون أن يلقيا بالًا للرجل الضئيل ، الذى انهمك فى مراقبتهما طوال الوقت ، مما منحه شعورًا بأنه يبدّد وقته معهما ، وجعله

يسخط على مهمته الروتينية السخيفة ، التى كان يمكن أن تؤديها خادمة الفندق .. وكان هذا هو نفس شعور الرجل الثانى ، المسئول عن مراقبتهما بعد مغادرتهما الفندق ، والذى اهترأت قدماه ، وهو يتبعهما من كنيسة إلى أخرى ، ومن متحف إلى آخر ومن معرض إلى ثان ، وهو الذى لا يهتمّ قط بالمتاحف والتاريخ ..

أما الرجل الثالث ، الذى يراقبهما فى الفترة المسائية ، فقد كان أسعد حظًا ، إذ يتناول عشاءه فى مطاعم جيدة ، ويقضى سهراته فى ملهى أو آخر ..

وفى كل مساء ، كانا يتناولان القهوة والشراب فى (كافيه دى لابيه) ، حتى أن مراقبهما لم يشعر بالدهشة ، فى ذلك المساء ، عندما رآهما يذهبان إلى المقهى ، وقد وضعت (فرانسيس) على رأسها قبعة بيضاء ، بها وردة حمراء زاهية ، ولم يسمع (فرانسيس) ، وهى تهمس لـ (ريتشارد) :

- إلى متى ينبغى علينا الجلوس هنا ؟

لم يجب (ريتشارد) ، فقد كانت عيناه معلقتين بشىء ما خلفها ، ثم فجأة انسكب قدح الشراب ، الذىَ وضعه (ريتشارد) فى حرص ، على الطرف البعيد للمائدة ، وانحنى رجل يلتقطه ، بطريقة مكّنتهما من رؤية الساعة

فى معصمه ، وقد لبسها بطريقه معكوسة ، ورؤية الوقت الذى تشير إليه عقاربها ..

وفى هدوء ، شكره (ريتشارد) على إعادة القدح ، وأومأ الرجل برأسه فى لا مبالاة ، فى حين أسرع الخادم ينظف المكان ، وابتعد صاحب الساعة المعكوسة ، ثم اختفى وسط المارة ، دون يلقى عليه (ريتشارد) أو (فرانسيس) نظرة أخرى ..

ولكنهما استقبلا الإشارة ..

إشارة البدء ..

★ ★ ★

« لقد فتش أحدهم حجرتنا .. » .

همست (فرانسيس) لـ (ريتشارد) بهذه العبارة ، وهى ترقد إلى جواره فى الفراش ، فسألها فى صوت منخفض :

ـ ماذا لاحظت ؟

أجابته :

ـ أنا أرتب دائمًا علب الكريم بطريقة خاصة ، فوق علبة من الورق ، تحوى بعض المناديل وقطع القطن ، وأدوات تجميل مختلفة ، ولقد اختلف هذا الترتيب :

ـ سألها فى خفوت :

ـ وهل اختفى شىء ؟

أجابت فى سرعة :

ـ مفكرة عناوين ، أدوّن فيها عناوين محال تصفيف الشعر ، والفنادق .

ضحك قائلًا :

ـ فلنأمل أن تفيدهم .

ضحكت بدورها ، وهمست :

ـ متى نرحل ؟

أجاب فى حسم :

ـ غـدًا .

أومأت برأسها موافقة فى ارتياح ، ثم دسّت رأسها فى صدره ، واستسلمت لنوم عميق ..

★ ★ ★

كانا قد انتهيا من إعداد حقائبهما فى الصباح ، عندما أمسك (ريتشارد) كتابًا صغيرا ، وراح يقرؤه فى اهتمام ، فسألته (فرانسيس) :

ـ ما هـذا ؟

أجابها وهو يغمز بعينه ، فى حركة خفية :

ـ دليل (ألمانيا) .. ينبغى أن نعرف المكان الذى سنذهب إليه .. أليس كذلك ؟

كانت واثقة من أن هذا الكتاب لم يكن هنا أمس ، ولكنها لم تناقشه أو تسأله ..

كانت واثقة من أن الرجل ، صاحب الساعة المعكوسة ، قد أرسل هذا الدليل بوسيلة أو بأخرى ، ورأت (ريتشارد) يفحص كل صفحة من صفحاته جيدًا ، حتى عثر على علامة خفيفة بقلم رصاص ، تكاد لا تظهر ، على شكل نجمة ، فى أحد الأقسام ، أمام اسم (نورنبرج) ، وأخرى أمام (مارينستراس) ، وثالثة عند (أوجسبرك) ، ورابعة ، وخامسة ..

ولم تمض ساعة ، حتى كان قد حلّ الشفرة ، وعلم أين ومتى يتمّ اللقاء الأوّل ، فقال لـ (فرانسيس) مبتسمًا :

ـ سنرحل على الفور ، ولكن بعد أن أدخن غليونى أوّلًا .

شعرت بالدهشة ، لأنه لا يدخن غليونه عادة إلا بعد الغداء ، ولكن دهشتها هذه لم تلبث أن تلاشت ، عندما راح يقطع تلك الأوراق ، التى تحوى العلامات الصغيرة ، ويشعل فيها النيران ..

وبدت الأدخنة المتصاعدة كما لو أنها أدخنة الغليون ..

وعندما احترقت الأوراق عن آخرها ، بدأت رحلتهم إلى (نورنبرج) ..

لم تكن الرحلة قصيرة أو بسيطة ، ولكنهما وصلا فى ساعة متأخرة جدًا إلى (نورنبرج) ، وقادهما سائق سيارة الأجرة إلى فندق (كوينجزوف) ، وهناك أبدت (فرانسيس) تبرّمها من الأثاث الضخم ، والأسقف العالية الحادة ، ولكن (ريتشارد) ضحك قائلًا :

ـ لا تكتئبى يا فتاتى .. ستشعرين بتحسّن فى الصباح .

وكان على حق ، ففى الصباح التالى كانت تشعر بتحسّن كبير ، وخرجت مع (ريتشارد) إلى المدينة ، التى كانت هادئة ، ذات طراز قديم أنيق ، يبعث الراحة فى النفوس ، لولا أصحاب القمصان البنية والأزياء العسكرية ، الذين يتحرّكون فى برود ورتابة ، جعلاهما يشعران بالضجر ، ثم لم يلبث (ريتشارد) أن بدأ يسترجع التعليمات ، التى استخرجها من الدليل ، فاستقلّ معها الترام إلى شارع (مارينستراس) ، وهناك قطعا الشارع أكثر من مرة ، وهما يبحثان عن أى متجر أو منزل ، يحمل اسم (ا . فوجر) ، حتى أمسك (ريتشارد) ذراع (فرانسيس) فى قوّة ، وضغط يدها فى انفعال ، وهو يقودها إلى حانوت صغير ، يبيع الكتب القديمة ، وسمعته يقول :

ـ عظيم .

ودون أن تبدى هى انفعالاً ، أو تكشف ما تعصف به نفسها من الداخل . لاحظت لافتة الحانوت ، التى تحمل اسم (مكتبة) ، وإلى جوارها بحروف صغيرة (ا . فوجر) ..

ودون تردد ، دخلا إلى المكتبة القديمة ، التى تكتظ بالكتب ، التى تملأ الأرفف على حوائطها ، من السقف إلى الأرض ، وتحتل كذلك منضدتين كبيرتين ، فى منتصف المكان ، فى حين كانت هناك فتاة بيضاء ، ترتدى منظارًا طبيًا ، فوق عينيها الزرقاوين الباهتتين ، رمقتهما بنظرة باردة ، ولم تهتم حتى بالنهوض لاستقبالهما ، ولا بمساعدتهما ، وهما يقلبان الكتب ، حتى أخرج (ريتشارد) من جيبه ورقة مطبوعة ، قدمها إليها ، قائلاً :

- هل يمكننى العثور هنا على نسخة من هذا الكتاب ؟ .. إنه عن الشعر الغنائى الألمانى ، ولقد طبعه (توبنز) فى (ليبزج) ، عام ١٨٣٦ م .

ألقت الفتاة نظرة باردة على الورقة ، دون أى تعليق أو اهتمام ، ثم قالت :

- ليس لدينا هذا الكتاب .

وجد نفسه يسألها فى حدة :

- ألا يوجد آخر ، يمكن التحدث إليه ؟

مع صوته المرتفع ظهر رجل قصير ممتلئ ، يرتدى قميصًا فضفاضًا ، مسح جبهته بمنديل ، ثم أغلق الباب الذى أتى منه خلفه ، وقال :

- أظننى سمعت صوت زبائن .

كان قد غادر الحجرة ، وأغلقها خلفه فى سرعة ، ولكن هذا لم يحجب رائحة الأوراق المحترقة ، التى تصاعدت من حيث أتى ، ولكن (ريتشارد) تظاهر بأنه لم ينتبه إلى هذا ، وهو يقول :

- كنت أسأل عن كُتاب فى الشعر الغنائى الألمانى .

وناول الورقة المطبوعة للرجل ، الذى غمغم :

- كتاب عظيم بالفعل .. كانت لدى نسخة منه فيما مضى ، ولكننى بعتها على الأرجح ..

ثم أشار للفتاة ، ذات المنظار الطبى ، وقال :

- ابحثى عنه فى الداخل يا (أوتيلّى) .

رمقته الفتاة بنظرة باردة ، ثم اتجهت إلى مخزن جانبى ، فى حين انتحى الرجل و (ريتشارد) ركنًا ، وراحا يتحدثان فى اهتمام ، و (فرانسيس) تراقبهما فى قلق ، حتى عادت (أوتيلّى) ، فارتفع صوت الرجل ، وهو يقول :

نعم .. أظننى بعتها .. (أوتيلّى) .. هل تذكرين كتابًا

صغيرًا ، له غلاف من الجلد الأحمر ، اشتريته من البروفيسير (فارت) .

هزّت رأسها نفيًا ، وراحت تراقب (ريتشارد) والرجل فى اهتمام ، على الرغم من أنهما تحدثا ببساطة ، وقال الرجل :

ـ سأبحث لك عن نسخة أخرى على أية حال .. عد مرة ثانية ، وستجدنى أو تجد (أوتيلّلى) ، وربما عثرنا لك على نسخة من الكتاب ، أو ...

فجأة بتر عبارته ، وتطلّع من فوق كتفى (ريتشارد) إلى الطريق ، ثم قال فى سرعة ، وهو يتحرَّك فى خطوات سريعة نحو الحجرة التى أتى منها :

ـ معذرة .. إلى اللقاء .

كان وداعًا مباغتًا ، أثار دهشة الجميع لحظات ..

ثم ظهر السبب بغتة ..

ظهر على هيئة ثلاثة من الرجال ضخام الجثة ، اقتحموا الحانوت فجأة ، بأحذيتهم العسكرية الثقيلة ، ووجوههم الصارمة المتجهمة ..

وأشارت (أوتيلّلى) بحركة سريعة إلى الحجـرة الداخلية ، فأخرج الثلاثة مسدساتهم ، واندفعوا نحو الحجرة ، ورفس أحدهم بابها بقدمه ، ثم اندفعوا داخلها .

وارتجفت (فرانسيس) ..

كانت تتوقع سيلًا من الرصاصات ، والدماء ..

ولكن هذا لم يحدث ..

كل ما حدث هو أن الرجال عادوا من الحجرة غاضبين ، وهتفت أحدهم فى حدةّ :

ـ أين هو ؟

خبت ابتسامة (أوتيلّلى) ، وظهر عليها الخوف ، وهى تقول :

ـ لقد دخل هناك ، ولا يوجد باب آخر .

صاح الرجل فى غضب :

ـ ولكن توجد نافذةَ يا غبية .

انكمشت الفتاة فى رعب ، فى حين التفت هو إلى (ريتشارد) و (فرانسيس) ..

ولم تكن نظرته تحمل أدنى شعور بالارتياح ..

بل كانت تحمل الخطر ..

كل الخطر ..

★ ★ ★

٤ ـ حادثة (نورنبرج) ..

مضت لحظات من صمت رهيب ، والرجل يرمق (ريتشارد) و (فرانسيس) بنظرات صارمة قاسية ، قبل أن يسأل فى غلظة :

ـ ما اسمكما ؟

غمغمت (أوتيلّلى) :

ـ زبائن .

أما (ريتشارد) ، فقد رسم على وجهه دهشة مصطنعة ، وراح يفسِّر للرجل كيف أنهما يبحثان عن كتاب قديم ، عن الشعر الغنائى الألمانى ، و ... ، و ... حتى شعر الألمانى بالملل ، فقال بنفس اللهجة الصارمة :

ـ فليكن .. هذا يكفى .

ثم ضرب كعبيه ببعضهما البعض ، ورفع يده ، هاتفًا :

ـ هايل (هتلر) .

وهنا خفق قلب (فرانسيس) فى عنف ، وتساءلت عما سيفعله (ريتشارد) ، للرّد على هذه التحية الجافة ، ولكن (ريتشارد) قال بابتسامة هادئة :

ـ إلى اللقاء .

خفض الرجل يده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد ألقيت عليك التحية الألمانية .

أجابه (ريتشارد) بنفس الابتسامة :

ـ وأنا أجبتها بالتحية الانجليزية .. هذه هى أصول اللياقة .

مطَّ الرجل شفتيه ، ورمقهما بنظرة أخرى قاسية ، ثم أشار إلى زميليه ، وانصرف الثلاثة بنفس الخطوات الثقيلة العنيفة ، وتنفَّست (فرانسيس) الصعداء ..

لقد انتهت هذه المشكلة ..

مؤقتًا ..

* * *

كانت حجرتهما قد خضعت لتفتيش سرى كالمعتاد ، ولكنهما لم يبديا اهتمامًا هذه المرة ، ورأت (فرانسيس) الأمريكى الذى دهست قدمه فى الصباح ، فتبادلت معه ابتسامة وتحية سريعة ، ولكنه اتجه إليها ، وصافحها ، ثم قدَّم نفسه إلى (ريتشارد) ، قائلًا :

ـ (هنرى فان كورتلاند) ، من (هاى تور) فى (نيويورك) .. وأنا صحفى ، أجوب (أوروبا) فى الوقت الحالى ؛ لكتابة تقارير حول الدلائل المحتملة لنشوب حرب فى المنطقة .

كان شابًا وسيمًا ، يوحى بالذكاء ، ويتحدّث فى طلاقة

واضحة ، فرحّب به (ريتشارد) ، وجلس الثلاثة يتبادلون الحديث ، حول احتلال الألمان لـ (براج) ، واحتمالات نشوب الحرب ، ومحاولة (أمريكا) للبقاء خارج حلقة الصراع ، ثم نهض الأمريكى ، واعتذر عن رغبته فى الانصراف ، بسبب ارتباطه بموعد آخر ، وبعد انصرافه قالت (فرانسيس) :

- إنه يتحدّث بطلاقة .

هزّ (ريتشارد) كتفيه ، وقال :

- من السهل أن يحاول المرء طويلًا ، عندما تكون بلاده على مسافة ثلاثة آلاف ميل ، من منطقة الخطر .

ثم مال عليها فجأة ، وهمس :

- ما رأيك فى الذهاب إلى السينما ؟

سألته فى دهشة :

- وما المناسبة ؟

بدا الجذل فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

- هناك رجلان يتبعانا منذ وصلنا إلى (نورنبرج) ، ولم يتناولا الطعام منذ الصباح ، ولقد بدءا فى تناوله منذ لحظة واحدة ، وانصرافنا المباغت سيفقدهما شهيتهما ، ويثير حنقهما وغضبهما .. ما رأيك ؟

شاركته جذله ، وهى تقول فى حماس :

- هيّا بنا .

ونهضا معًا فجأة ، على نحو حرصا على أن يبدو طبيعيًا ، وانصرفا إلى دار سينمائية قريبة ، فأسرع الرجلان يتبعانهما فى سخط ، وقد اضطرا إلى التخلّى عن طعامهما ..

وراقت اللعبة لـ (فرانسيس) ، فراحت تنتقل من مقعد إلى آخر ، داخل قاعة السينما ، حتى تثير توتّر الرجلين وحنقهما ، حتى ضغط (ريتشارد) يدها ، وطلب منها الكف عن هذا ، قبل أن يثير الأمر شكوك وشبهات الرجلين ..

وعندما غادرا السينما ، كان الليل قد أسدل أستاره ، وكان الرجلان قد أرهقا ، من شدة الجوع والتعب والانفعال ، وعندما أخفت (فرانسيس) ضحكتها فى صدر (ريتشارد) ، سمعت صوتًا يقول :

- أنتما مرة أخرى .. يا لها من مصادفة سعيدة !

هتفت فى جذل :

- (فان كورتلاند) ؟! .. لم أتصوّر أبدًا أن نلتقى مرة أخرى .

انضمّ إليهما (فان كورتلاند) ، وراحوا يسيرون جنبًا إلى جنب ، وهم يعودون إلى مناقشتهم ، حول الحرب والسياسة ، و ...



كان هناك صراخ كالعويل، يأتى من شارع ضيق مظلم إلى يسارهم، فنظر بعضهم إلى البعض..

وفجأة تجمّدت (فرانسيس) وهى تقول :

- ما هـذا ؟

كان هناك صراخ كالعويل ، يأتى من شارع ضيق مظلم إلى يسارهم ، فنظر بعضهم إلى البعض ، وتمتم (ريتشارد) :

- يبدو كما لو أنه محاولة قتل .

وهنا اندفع (فان كورتلاند) إلى الطريق ، قائلا :

- انتظر هنا مع زوجتك ، وسأذهب لرؤية ما يحدث .

لم يكد يتحرك ، حتى ارتفع صوت صارم يقول :

- قف .. لا شأن لك بالأمر .. واصلوا سيركم .

التفت الجميع إلى رجلين ضخمى الجثة ، غليظى الملامح ، وقال (فان كورتلاند) فى عصبية :

- هناك جريمة قتل تحدث هنا .

أجابه أحدهما فى غلظة :

- لا شأن لك بهـذا .. إنـه شارع يقطنـه بعض المعارضين .. واصلوا سيركم .

مضت لحظة من الصمت ، ثم قال (فان كورتلاند) فى عصبية أكثر :

- هيّا بنا .

ابتعدوا صامتين بعض الوقت ، ثم قال (فان كورتلاند) فى غضب :

- لقد أفسدوا ليلتنا .

ثم عادوا إلى صمتهم ، حتى بلغوا الفندق ، وتبادلوا عناوينهما ، ثم انصرف الأمريكى ، وصعد (ريتشارد) مع (فرانسيس) إلى حجرتهما ، وقال هو فى توتر :

- غدًا نرحل من هنا .

وشعرت (فرانسيس) بالارتياح ..

★ ★ ★

فى الصباح التالى رحلا إلى (ميونخ) ، وقضيا نهارهما فى التجول فى المدينة بلا هدف ، شأن أى سائحين عاديين ، ثم قضيا ليلتين فى (ميونخ) ، ورحلا بعدهما إلى (ميتنوالد) ، حيث تسلقا الجبل لمسافة بسيطة ، وابتاعا بعض معدات التسلق ، ثم قضيا ليلتهما فى فندق (فراو كوبلر) ، التى تنتمى بشدة إلى الحزب النازى ، وفى يوم الجمعة رحلا إلى (انزبروك) ..

كانت المدينة جميلة بالفعل ، وفى فندق (جاستون بوزون) استقبلهما موظف الاستقبال فى برود متناه ، ونقل بياناتهما فى دفتره فى صمت ، ثم سلم أمتعتهما لشاب أسمر نحيل ، يحمل اسم (جوهان) ..

والعجيب أن (جوهان) هذا كان الشخص الودود الوحيد ، الذى التقيا به ، منذ وصلا إلى (ألمانيا) ، وكان

يبتسم دائمًا فى ودّ وسعادة ، حتى أنها قالت لـ (ريتشارد) مازحة :

- هناك شخص يبتسم .. لا ينبغى أن نفقد الأمل .

ولكن باستثناء (جوهان) ، كان الجميع فى غاية البرود والصرامة ، فيما عدا موظف الاستقبال الضخم الجثة ، والذى بدا متبلدًا كسولًا ، وهو يتلقى منهما مفتاح حجرتهما ، أو يعيده إليهما بعينين خاملتين نصف مغلقتين ..

وفى ذات ليلة ، لم يجدا الضخم فى مكانه ، وقبل أن يمدّ (ريتشارد) يده ، ليلتقط المفتاح بنفسه ، ظهر (جوهان) ، وقد بدا نظيفًا أنيقًا ، وقد ارتدى زيًا عاديًا ، وخلع زىّ الفندق ، وقال مبتسمًا ، وهو يناولهما المفتاح :

- معذرة .. لقد خرج الهر (كرونستاينر) منذ لحظات لتناول العشاء .

شكره (ريتشارد) ، والتقط منه المفتاح ، وبدا متهلل الأسارير ، وهو يصعد مع (فرانسيس) إلى حجرتهما ، حتى أنها سألته :

- ما الذى يجعلك سعيدًا إلى هذا الحد ؟

همس مبتسمًا :

- يلوح لى أننى أحسنت الاستنتاج ، فى أمر ما .

سألته فى لهفة :

- أى أمر ؟

وقبل أن يجيب ، كان قد دسَّ المفتاح فى ثقب الباب ، وفتح حجرتهما ، ثم وقف يتطلَّع داخلها بنفس الابتسامة ، وان تألَّقت عيناه فى شدَّة ، فالتفتت هى إلى حيث ينظر ، واتسعت عيناها فى دهشة ..

كان هناك رجل ضخم ، يقف داخل حجرتهما ..

الهر (كرونستاينر) ..

★ ★ ★

لم يبد على (رينشارد) أى أثر للدهشة ، وهو يبتسم ، ويقول فى هدوء :

- مساء الخير .

لاحظت (فرانسيس) أن (كرونستاينر) أيضًا جعل صوته منخفضا ، وهو يقول :

- جئت لأسلمكما فاتورة الحساب ، ولأشرح لكما ما يستغلق على فهمكما من تفاصيلها ، فالأجانب لا يفهمون عادة طرق الحساب الألمانية .

أدهشها أنه يبتسم فى لطف ، وأن (ريتشارد) وافقه قائلًا :

هذا أفضل ، فأنا أحبّ أن يكون كل شىء واضحًا .

ناوله (كرونستاينر) ورقة عادية ، تحمل اسم الفندق ، وهو يقول :

- ها هى ذى الفاتورة .

تذكّر (ريتشارد) (ا . فوجر) ، عندما انتحى به جانبًا ، فى مكتبته القديمة ، وقال مؤكّدًا فى حزم :

- لا تنس أبدًا .. المالك اسمه (هانز) .

وعلى الرغم من هذا كان اسم المالك واضحًا ، فى بداية الفاتورة (رودلف كرونستاينر) ، فقال (ريتشارد) فى هدوء :

- عجبًا ! .. كنت أظن أن اسم المالك (هانز) .

وهنا ارتسمت على شفتى (كرونستاينر) ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

- الجميع يعلمون أن اسمه (رودلف) .

ثم التقط الفاتورة من يد (ريتشارد) فى لطف ، وناوله أخرى ، وهو يرمقه بنظرة ذات مغزى ، قائلًا :

- أتمنى لكما إقامة طيبة فى (بيرتيسو) .

قالها وانصرف مباشرة ، فتطلّعت (فرانسيس) إلى (ريتشارد) ، وعيناها تحملان تساؤلًا ، أجاب عنه (ريتشارد) على الفور :

- سيروق لك تسلّق الجبال فى (بيرتيسو) .. سنرحل إلى هناك غدًا .

لم تلق سؤالًا آخر ..

لقد فهمت الأمر بدورها ، على الرغم من دهشتها ، ولم يكن من الصحيح أن تتحدّث إلى (ريتشارد) ، مادامت غير واثقة من وجود أجهزة تصنّت فى حجرتهما ، لذا فقد اغتسلت فى هدوء ، وأبدلت ثيابها ، ثم هبطت مع (ريتشارد) ، للتجوّل لآخر مرة فى (انز بروك) ، قبل رحيلهما إلى (بيرتيسو) ..

ومن المدهش أنهما التقيا مرة أخرى بـ (فان كورتلاند) ، وفجأة صاحت (فرانسيس) أيضًا :

- انظر يا (ريتشارد) .. إنه أحد الشابين ، اللذين كانا بالقطار .

التقط الشاب صيحتها ، وتضرّج وجهه بحمرة الخجل ، ثم صافحهم فى تردّد ، وأصرّ (ريتشارد) على انضمامه إليهم ، فجلس الشاب ، وبدأ يتحدّث معهم ، وسرعان ما اندمج فى مجتمعهم الصغير ، وراح يروى لهم قصة صديقه ، الذى كان يصحبه فى القطار ..

كان صديقه (تونى) هذا يهتمّ بفتاة تشيكوسلوفاكية ، قابلها فى (انجلترا) فى الصيف الماضى ، وبعد عودتها إلى (براج) ، اختفى والدها فى ظروف غامضة ، ثم

اختفت الفتاة أيضًا ، فسافر (تونى) معه إلى هناك ، حيث عاملوهما معاملة سيئة ، دون أن يجد أدنى أثر للفتاة ، وعندئذ قرّر (تونى) البقاء هناك ، على أن يرحل (ثورنلى) إلى (ألمانيا) ، لينتظر عودة (تونى) مع فتاته .

وسأله (فان كورتلاند) :

- وماذا لو لم يظهر ، حتى نهاية الشهر ؟

غمغم (ثورنلى) فى توتّر :

- عندئذ يكون شىء ما قد حدث ، وسأضطر إلى العودة إلى (براج) .

قال (فان كورتلاند) فى حزم :

- سأذهب معك لو فعلت .

تهلّلت أسارير (ثورنلى) ، وهو يقول :

- حقًا .

أما (ريتشارد) فقال بسرعة :

- أما نحن ، فسنرحل إلى (بيرتيسو) فى الصباح .

تمتم (فان كورتلاند) :

- ربما نلتقى هناك أيضًا .

ولم تدر (فرانسيس) لحظتها لماذا شعرت بالخوف منه . من (فان كورتلاند) .

★ ★ ★

٥ ـ قطع الشطرنج ..

كانت الرحلة إلى (بيرتيسو) قصيرة ، وكانت القرية نفسها أنيقة وجميلة ، ولها جاذبية خاصة ، ولم يكد يستقر بهما المقام فى الفندق ، حتى قال (ريتشارد) ، وهو يغمز بعينه :

ـ يقولون : إنه يوجد هنا أفضل ناحتى قطع الشطرنج .

تمتمت فى آلية :

ـ حقًّا ؟! ..

لم تمض دقائق على عبارته ، حتى كان يقودها إلى داخل متجر ، يحوى آلات حفر وتقطيع الخشب ، وعددًا من قطع الشطرنج الخشبية ، المنحوتة بدقة شديدة ، وسأل (ريتشارد) صاحب المتجر عن ثمنها ، وعندما وجد ثمنها معقولًا ومناسبًا لجودتها ، سأل الرجل :

ـ هل يمكننى الحصول على مجموعة كاملة ، لآخذها معى إلى (انجلترا) ؟

أجابه الرجل :

ـ بالطبع .. ولدى هنا مجموعة أكثر دقة وروعة ،

صنعت مثلها لأحد السادة هنا .

عرض عليهما المجموعة الثانية ، فشهقت (فرانسيس) انبهارًا ، وقال (ريتشارد) ، وهو يتأمل القطع فى إعجاب شديد :

ـ لاريب فى أن السيِّد الذى صنعتها من أجله ، هو أحد المتخصصين فى قطع الشطرنج .

أجابه الرجل فى حماس :

ـ الهر (مسبليرون) ؟! .. إنه رجل ممتاز ، ولديه مجموعة من القطع النادرة ، بالغة الدقة والجمال .. لابد لكما من السعى لرؤية ما لديه .

وافقه (ريتشارد) على قوله ، فقد كان هذا بالضبط ما يسعى إليه .. أن يجد المبرِّر المنطقى لزيارة الدكتور (مسبليرون) ، وتأكيدًا لهذا ، طلب من الرجل أن يصنع له مجموعة مماثلة ، ومنحه نصف ثمنها مقدمًا ، ثم غادر المتجر مع (فرانسيس) ، التى سألته فى لهفة :

ـ هل نذهب لزيارة (مسبليرون) هذا ؟ .

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس بهذه السرعة .. سنقضى بعض الوقت فى التنزه ، وتسلَّق الجبال ، شأن أى سائحين عاديين ، وعندما تحين الفرصة المناسبة ، سنذهب لزيارة (مسبليرون) .

لم تناقشه (فرانسيس) ، ولكنها راحت تتساءل فى أعماقها بمنتهى اللهفة ..

متى تحين تلك الفرصة المناسبة ؟ ..

متى ؟

★ ★ ★

كانت مفاجأة طريفة ، أن يلحق بهما (ثورنلى) و (فان كورتلاند) فى (بيرتيسو) ، واستمتع الأربعة حتى نهاية الأسبوع بالسياحة وتسلّق الجبال ، وشعرت (فرانسيس) بالارتياح لفراو (شيكتل) ، المسئولة بالفندق ، التى روت لها قصة ابنتها ، التى تزوّجت أحد معارضى الحزب النازى ، ثم اختفت مع زوجها فجأة ، ودعتهما فراو (شيكتل) لحضور حفل شعبى فى المساء ، فوعدتها (فرانسيس) بالحضور ، على الرغم من أن (ريتشارد) لم يكن يدرى هل من الممكن أن يذهبا أم لا ، فقد قرّر أن يذهبا لزيارة منزل الدكتور (مسبليرون) هذا الصباح ، ولم يكن يدرى ما الذى يمكن أن يقود إليه هذا ..

ولم يكن هناك مجال للتراجع ..

وبعد ساعات من بدء الصباح ، كانا قد بلغا المنزل ، الذى يرتفع وحده ، فى منطقة شبه معزولة ، وقال (ريتشارد) :

- ابتسمى يا (فرانسيس) .. لقد وصلنا .

ودقّ الباب الخارجى ، وفتحت الباب امرأة طويلة ، سألها (ريتشارد) :

- هل يمكننى مقابلة الدكتور (مسبليرون) ؟

همّت المرأة بقول شىء ما ، ولكن رجلًا ظهر من خلفها ، وأزاحها فى خشونة ، قال :

- نعم .. يمكنكما مقابلته .. تفضّلا بالانتظار هنا ، وسيأتى بعد قليل .

كانت مقابلة جافة غريبة ، وشعرت (فرانسيس) أنها قد كرهت الرجل منذ النظرة الأولى ، ولكنها انتظرت مع (ريتشارد) ، فى قاعة أنيقة ، بها بيانو ضخم ، اتجه إليه (ريتشارد) فى هدوء ، وأشار إلى النوتة الموسيقية التى تعلوه ، والتى تحمل اللحن السرى لهما ، وقبل أن تعلّق (فرانسيس) ، ارتفع صوت يقول :

- يا لها من مصادفة !

التفتا إلى مصدر الصوت ، وشهقت (فرانسيس) فى دهشة ، فالرجل الذى جاء لمقابلتهما لم يكن الدكتور (مسبليرون) ، بل كان ألمانيًا يعرفه كلاهما جيدًا ..

كان (سيجرد فون آشنهاوزن) ..

★ ★ ★

كان (ريتشارد) هو أول من قطع حبل الصمت والدهشة ، وهو يقول فى لهجة بسيطة ، بذل جهدا خارقا للسيطرة عليها :

- عجبًا ! .. لقد أتينا لمقابلة دكتور (مسبليرون) ، أو بالأصح لرؤية مجموعة الشطرنج النادرة ، التى يمتلكها ، ولم نتوقع أبدا رؤيتك هنا .

ابتسم (فون آشنهاوزن) ، وقال :

- ولقد التقيتما به .. إنه الاسم الذى أنتحله ، عندما أقيم هنا .. ولكن لماذا لم تخبرانى فى حفل (أكسفورد) ، أنكما تنويان القدوم إلى هنا ؟

أجابته (فرانسيس) بسرعة :

- لم نكن نعلم أنك تقيم هنا ، ثم إننا نتجوّل بلا برنامج مسبق ، ولم نكن نعرف حتى أننا سنأتى إلى هنا .

رمقها (فون آشنهاوزن) بنظرة شك قصيرة ، ثم لم يلبث أن استعاد ابتسامته المصطنعة بسرعة ، وهو يقول :

- إنها مصادفة طريفة على أية حال .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع الجميع صوت ارتطام شىء ثقيل فى الطابق العلوى ، أعقبته خبطات متتابعة ، ثم توقف الصوت فجأة ، وارتسمت الدهشة على وجهى (ريتشارد) و (فرانسيس) ، فقال (فون آشنهاوزن) بسرعة :

- إنه الكلب .. لقد حان موعد خروجه للنزهة ، ولكنه عنيف فى طريقة تذكيرنا بهذا .

تبادل (ريتشارد) و (فرانسيس) نظرة جانبية ، ثم اتجهت (فرانسيس) إلى البيانو ، وألقت نظرة على نوتته الموسيقية ، وقالت :

- يا له من لحن جميل !

ثم فجأة ، وبلا مقدمات ، راحت تنشد ذلك اللحن بصوت مرتفع ، وبدا التوتّر الشديد على وجه (فون آشنهاوزن) وحارسه الخاص ..

ثم تكرّر صوت الارتطام والطرقات أكثر عنفًا هذه المرة ..

وفى هدوء ، توقفت (فرانسيس) عن الغناء ، وقالت :

- أغنية جميلة .

تنفّس (ريتشارد) الصعداء ، وقال محاولًا جذب انتباه (فون آشنهاوزن) بعيدًا :

- ألديك مجموعة الشطرنج هنا ؟

هزّ (فون آشنهاوزن) رأسه نفيا ، وقال :

- لا .. ليست هنا للأسف .. لو عدتَ فى الأسبوع القادم ، فربّما .

لم يتمّ عبارته ، عندما ارتفع صوت الارتطام مرة

ثانية ، ورمق حارسه بنظرة خاصة ، اندفع الحارس بعدها إلى الطابق الثانى ، فى حين تبادل (ريتشارد) و (فرانسيس) التحية مع (فون آشنهاوزن) ، وانصرفا بسرعة ، وواصلا سيرهما حتى بلغا الأشجار البعيدة ، فقالت (فرانسيس) فى توتّر :

ـ الأمر لا يبدو لى طبيعيًا .

جذبها (ريتشارد) جانبًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ بالطبع .. من هنا لا يمكنهم رؤيتنا من المنزل .. تعالى .

فوجئت به يضع بعض الطين على جوربيها ، فهتفت معترضة :

ـ ماذا تفعل ؟

ـ أجابها فى سرعة :

ـ الجوارب الحمراء يمكن رؤيتها على بعد أميال ، ومن المحتم أنهم سيحاولون تتبعنا .

سألته فى ذعر :

ـ لماذا ؟

أجاب متوتّرًا :

ـ هذا الصوت الذى سمعناه هو صوت سقوط مقعد ثقيل على الأرض ، والأرجح أنه هناك شخص مقيّد فوقه ، راح

يضرب الأرض بقدميه ، ليلفت انتباهنا إلى وجوده ، وخاصة بعدما سمعك تنشدين اللحن السرى .

سألته فى لهفة :

ـ ومن هذا الشخص فى رأيك ؟

أجاب بلا تردّد :

ـ (مسبليرون) الحقيقى .

شهقت مبهورة ، ورأته يلوّح بعصا التسلّق ، قائلًا فى حزم :

ـ لو أن استنتاجى صحيح ، فسيرسلون حتمًا من يطاردنا . ثم استطرد مشيرًا إلى ممر جبلى صغير أمامهما :

ـ هيا .. سنتخذ موقعًا أفضل .

كان السير عبر الممر بالغ الصعوبة ، والصخور حادة كالسكين ، ولكن (فرانسيس) تبعته ، وهى تنعى جوربيها المتسخين ، وكادا يبلغان نهاية الممر ، عندما قال (ريتشارد) فجأة :

ـ يا إلهى ! .. لقد بدأت المطاردة .

قالها وهو يشير إلى نقطة بعيدة ، ظهر عندها (فون آشنهاوزن) ، وحارسه الخاص ، وكلب ضخم ، فى حجم أسد صغير ، وكان (فون آشنهاوزن) وحارسه يتلفتان حولهما ، بحثًا عن شىء ما ، فى حين كان الكلب يتبعهما فى سرعة ونشاط ، وهمست (فرانسيس) فى هلع :

ـ إنهما لم يعرفا مكاننا بعد .

تمتم (ريتشارد) :
ـ لن يستغرق هذا وقتًا طويلًا .
رأت (فرانسيس) الرجلين ينفصلان ، فيصعد (فون آشنهاوزن) نتوء التل فى مهارة ، فى حين تقدّم حارسه نحو المسطح ، الذى يختفيان عنده ، ويصحبته الكلب ، فغمغمت :
ـ ينبغى أن نسرع .
تقدّم معها (ريتشارد) فى سرعة ، عبر الممر ، وهما فى سباق مع الحارس والكلب ، اللذين لم ينتبها إلى وجودهما بعد ، وراحت (فرانسيس) تلهث فى شدّة ، من فرط التوتّر والانفعال ، و ...
وفجأة انتهى الممر ..
انتهى ليجدا نفسيهما أمام حافة رهيبة ، على ارتفاع هائل من الأرض ، وهتفت (فرانسيس) فى ارتياع :
ـ لقد وقعنا فى فخ .
لم تكد تتم عبارتها ، حتى سمعت لهاث الكلب من خلفها ، وسمعت (ريتشارد) يهتف :
ـ ارقدى على وجهك .
قفزت أرضًا ، ورأت الكلب ينقض عليها بأنيابه الحادة المخيفة ..

وفقدت الأمل تمامًا ..

★ ★ ★

لم تدر (فرانسيس) فى البداية ما حدث ..
لقد خفضت رأسها ، وشعرت بالكلب يثب فوقها ، ويتجاوزها ، ثم سمعته يطلق حشرجة رهيبة ، مع صوت ارتطام بالأرض ، فالتفتت خلفها ، ورأت الكلب على الأرض ، يلفظ أنفاسه الأخيرة وقد اخترق نصل حاد عنقه ، فى حين وقف (ريتشارد) يلهث ، وهو يمسك عصاته ، وقد انتزع من منتصفها شيئًا أشبه بسيف طويل ، فقالت مرتجفة :
ـ إنك لم تخبرنى أن عصاتك تحوى هذا الشىء .
أجابها لاهثًا :
ـ لم تأت ظروف مناسبة لأخبرك .
شعرت بالامتنان نحوه ، ونهضت واقفة ، ولكنها لم تكد تفعل ، حتى سمعت صرخة تأتى من أسفلها ، فنظرت تحتها ، إلى الممر الجبلى السفلى ، ورأت ذلك الحارس الخاص ، وهو يرمقهما بنظرة شرسة وحشية ، ويستلّ مسدّسه ليصوّبه إليهما ..
ودون أن تدرى ، وبدافع من غريزة البقاء ، اختطفت (فرانسيس) صخرة كبيرة ، ورفعتها فوق رأسها ، ثم

ألقتها بكل قوتها على الحارس ..

وكانت مفاجأة حقيقية للحارس ، الذى اختلّ توازنه ، وسقط مسدسه ، وراح يلوّح بذراعيه ، محاولًا التشبث بشىء ما ، ثم لم يلبث أن أطلق رصاصة طاشت فى الهواء ، وهو يهوى من حالق ، ويطلق صرخة مدوّية ..

وشحب وجه (فرانسيس) فى شدّة ، ولكنها شعرت بيد (ريتشارد) تمسك بكفها ، وبصوته يعيد إليها اطمئنانها وثقتها ، وهو يقول :

ـ فلنعد بسرعة .. لا ريب أن (فون آشنهاوزن) قد سمع الرصاصة والصرخة .. لقد أصبح بقاؤنا مستحيلًا .

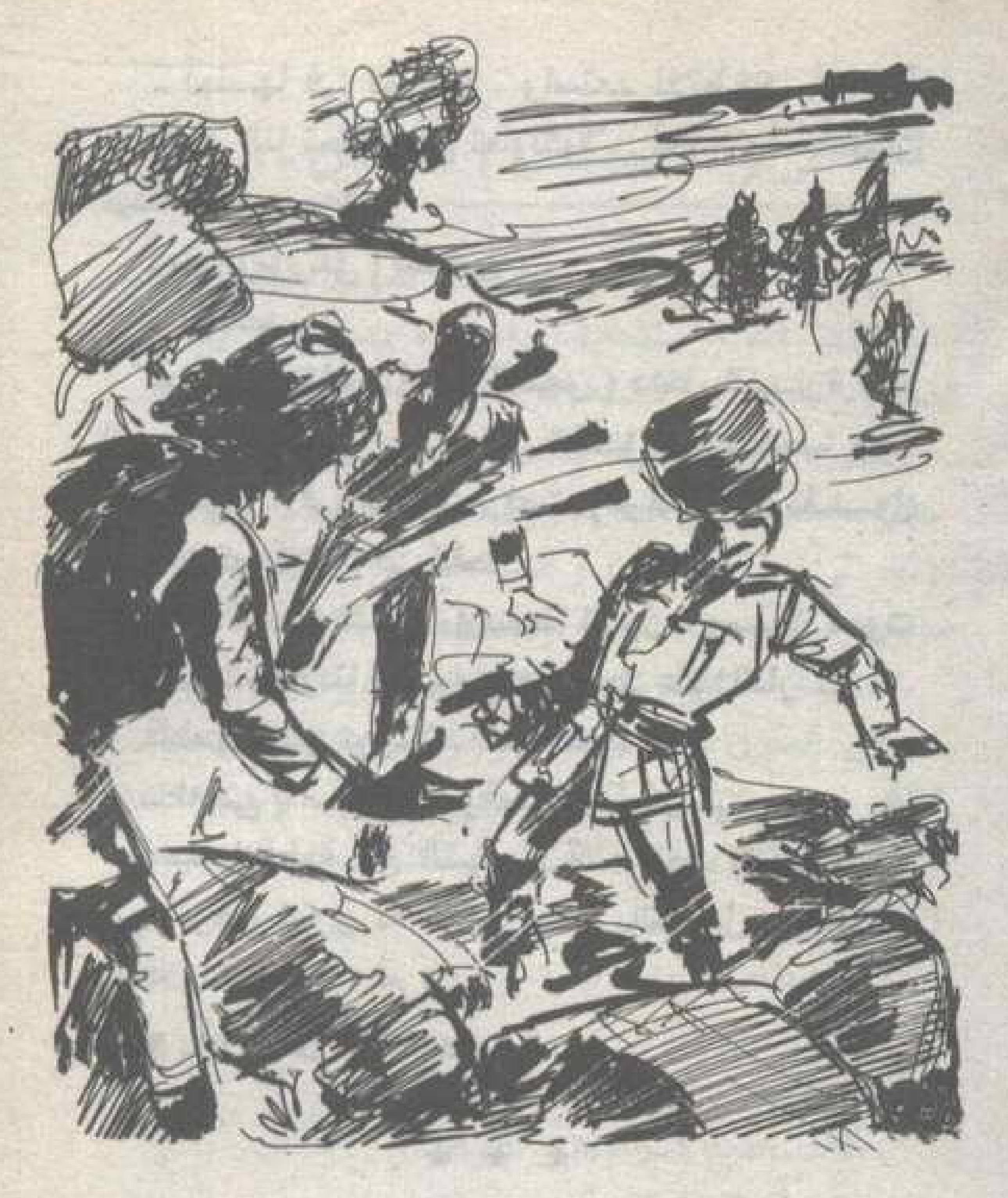
عادا أدراجهما عبر الممر ، ثم اتخذا طريقًا جديدًا ، وراحا يعدوان عبره فى سرعة ، حتى وصلا إلى الغابة ، ثم اتجها نحو (بيرتيسو) ، وهتفت (فرانسيس) :

ـ انظر يا (ريتشارد) .. إنهما (فان كورتلاند) و (ثورنلى) .

لم يعلّق (ريتشارد) ، ولكنه اتجه مباشرة نحو (فان كورتلاند) ، الذى هتف فى دهشة ، وهو يراهما على هذه الحال :

ـ ما الذى .. ؟

قاطعه (ريتشارد) ، قائلًا :



اختطفت (فرانسيس) صخرة كبيرة ، ورفعتها فوق رأسها ، ثم ألقتها بكل قوتها على الحارس ..

ـ أجلسها فى السيارة ، واستعد للانطلاق فى أية لحظة .. إننا نحتاج إلى تعاونكما .. هل أنتما مستعدان لهذا .

أجاب (ثورنلى) بحماس :

ـ بالتأكيد .

أجلس (ريتشارد) (فرانسيس) داخل السيارة ، ثم انصرف بسرعة ، متجهًا إلى الفندق ، مصطحبًا معه (ثورنلى) ، فى حين راحت (فرانسيس) تقول لـ (فان كورتلاند) فى انفعال :

ـ لقد أنشدت اللحن ، وسمعنا الرجل ، وسمعنا صوت ارتطام ، ثم طاردنا الكلب وأطلق الرجل علينا النار ، و ...

قاطعها (فان كورتلاند) فى هدوء :

ـ اهدئى يا سيِّدتى .. وقصِّى علىَّ كل شىء .

أعطاها قطعة من الشيكولاتة ، راحت تلتهمها فى نهم ، وهى تروى له كل ما حدث بالتفصيل ، وجفناها يتثاقلان فى بطء ، ثم ...

ثم راحت فى نوم عميق .

★ ★ ★

٦ ـ فراو (شيكتل) تتدخل ..

بينما (ريتشارد) و (بوب ثورنلى) يتجهان نحو المنزل ، قام (ريتشارد) بإخباره بما حدث بطريقة مختصرة ، ومثلما فعلت (فرانسيس) ، كان حريصًا على أن يكون مبهمًا ، فيما يختص بـ (مسبليرون) ، ولكنه حكى ما حدث فوق الجبل ، وإنقاذها له بالتفصيل ، واستمع (ثورنلى) فى صمت ، وعندما انتهى (ريتشارد) من حكايته ، التى حكاها بصوت منخفض ، قال :

ـ خسارة أنك لم تتخلص من الشخص الآخر أيضًا .

كان المنزل مثلما وصفه (فان كورتلاند) .. صامتًا كالقبر ، وحاولا مع الباب الخارجى والنوافذ ، ولكنها كانت محكمة الغلق ، وكذلك الباب الخلفى ، وهمس (ريتشارد) :

ـ إنها تنام مبكرًا .

ـ من ؟

ـ الخادمة .. أو أنهم طردوها اليوم .

ـ ألا نستطيع كسر إحدى النوافذ ؟

ـ لا .. قد تكون نائمة فى غرفتها ..

ثم أشار إلى نافذة وقال :

ـ هذه ربما هى الغرفة التى نريدها .. هل يمكنك التسلق ؟

نظر (ثورنلى) إلى النافذة ، وابتسم قائلا :

ـ سهل جدًا .

ثم قفز إلى أعلى ، وتسلق جانب المنزل ، حتى وصل إليها ، وأمسك بالإفريز ، ثم رفع جسده ببطء ، وعبر إلى الداخل .

لقد بدا كل شىء فى منتهى البساطة ، حتى أنه من الصعب تصور الجهد التى قام به ، واختفى فى سكون ، ووقف (ريتشارد) إلى جانب المنزل ، وسمع صوت الشباك وهو يحاول فتحه ، ثم جاءه صوت (بوب) يهمس :

ـ إنه مغلق ، وعليه قضبان من الحديد .. سأحاول فى حجرة أخرى .

واختفى شبحه ؛ انتظر (ريتشارد) وقد بدت الدقائق مثل ساعات ؛ ثم سمع صوت نافذة تفتح ، وبدأ يلوم نفسه على أنه لم يحاول الصعود ، حتى مع كتفه المتيبسة ، وركبته المجروحة ..

ما الذى يؤخر بوب ؟..

وفى اللحظة التى كان يفكر فيها فى أسهل طريقة للصعود ، سمع صوت (ثورنلى) يهمس من أعلى :

ـ هيا .. ساعدنا .

كان يسند رجلا آخر ، حتى يمر من فوق الإفريز ، ثم أنزله وهو يمسك معصميه ، واستعد (ريتشارد) ليحمل الرجل عندما يسقط ، وقال (ثورنلى) ونصفه إلى الخارج :

ـ أمسك .

أمسك (ريتشارد) جذع الرجل ، وتدحرجا معًا فوق الحشائش ، ثم قفز (ثورنلى) بخفة وساعدهما على الوقوف ، وسأله (ريتشارد) :

ـ هل أنت على ما يرام ؟

قال الرجل ، وهو يتمالك نفسه ، وينظر من (ثورنلى) إلى (ريتشارد) :

ـ نعم .. شكرًا .. من منكما كان هنا بعد الظهر ؟

قال (ريتشارد) :

ـ أنا .

استدار الرجل نحو (ثورنلى) ، وقال :

ـ هناك كوخ عند طرف الغابة ، إلى جوار شجرتين طويلتين .

ونظر (ثورنلى) حيث أشار الرجل ، الذى أضاف :

ـ فى ذلك الكوخ جهاز لاسلكى ودراجة بخارية .. هل يمكنك تعطيلهما ؟

قال (ريتشارد) ، و (ثورنلى) يتجه نحو الكوخ :

ـ سننتظرك فى السيارة .

ثم وضع ذراع الرجل حول كتفه ، وأمسك بخصره ، وسارا معًا ببطء نحو السيارة ..

كان من الصعب تحديد عمر الرجل ، فقد يكون بين الثلاثين والخمسين ، متوسط الطول ، ونحيف جدًا ، له شعر فى لون الفأر ، ولا لون محدودًا لعينيه ، كما أن صوته عادىّ ..

وسأله الرجل :

ـ لماذا كنت هنا بعد الظهر ؟

ـ لقد جئنا من (انز بروك) للبحث عن (مسبليرون) .

ـ وهل وجدته ؟

ـ ليس هو من نبحث عنه .

ـ لماذا تتكلم بصيغة الجمع ؟

ـ أعنى أنا وزوجتى .

ـ تبدو وكأنك قد واجهت المصاعب .

ـ نعم .. لقد تركت زوجتى فى السيارة .

ـ لديك سيارة ؟ .. حسن .

ـ وكذلك هناك رجل أمريكى .. صحفى .. ولكنه لا بأس به ، ويمكن الوثوق به .

ابتسم الرجل ، وهز رأسه ، وقال :

ـ لا تثق بمن يعملون بالصحافة .. إنهم دائمًا يبحثون عن الأخبار .. إذا سأل عنى ، فاسمى (سميث) ، الذى يساعد الهاربين من معسكرات الاعتقال .. هذا حقيقى على كل حال .. ومن الآخر ؟ ..

ـ (طرزان) الأشقر .

ـ أعرف أخاه .

ـ سأكون سميث بالنسبة إليه أيضًا .

ووصلا إلى نهاية الأشجار ، ولم يسمع صوت أقدام من الغابة فوقهما ..

مازالوا فى أمان ..

وتمنى أن يحضر (ثورنلى) ، فقد كان ثقل الرجل ينهكه ، ولكنه سأله :

ـ كيف تشعر الآن ؟

ـ إننى أشعر بالتحسن .. أنا سعيد بالحرية مرة أخرى .

ـ كيف أمسكوا بك .

ـ الرجل الذى تظاهر بأنه (مسبليرون) ، كان من المفروض أنه يتعاون مع حركة المقاومة ، بل إنه ساعد فى هروب بعض الناس ، ووصل إلىّ من خلالهم .. كيف كانت (نورنبرج) و (انز بروك) ؟

ـ (نورنبرج) اضطر للهرب و (انز بروك) كانت لديه شكوك عن شيء ما .

ما الذى حدث للرجلين ، اللذين كانا يسجنانى فى المنزل ؟

ـ لقد تعقبانا فوق الجبل .. (فون آشنهاوزن) ربما يعود الآن ، أما الآخر فقد سقط من أعلى .

قال الرجل ، وهو ينظر إلى بعض الحروق فى يديه :

ـ لا بأس .. والكلب ؟

ـ مات أيضًا .

ابتسم (سميث) ، وقال :

ـ لقد قمت بمهمة جيدة .

عندما وصلا إلى الكوبرى ، لحق بهما (ثورنلى) ، وقال :

ـ لقد كانت هناك أيضًا دراجة الرجل الخنزير ، وقد قمت بكسر عجلاتها أيضًا .

نظر (ريتشارد) نحو الغابة والجبل ، اللذين كان يكتنفهما الظلام الآن وقال لـ (سميث) :

ـ هل يمكنك الجرى إذا ساعدناك ؟

ـ سأحاول .

وحملاه فيما بينهما ، وأخذا يجريان ويجرونه معهما ،

وسمعهم (فان كورتلاند) ، وأدار محرك السيارة ، وفتح الباب الخلفى استعدادًا لهم ، ووضعا (سميث) بالداخل ، ودخلا وراءه ، وفى الحال بدأت السيارة تنهب الأرض فى طريقها إلى (بيرتيسو) ، وانحنى (ريتشارد) إلى الأمام ، ينظر إلى (فرانسيس) ، وكانت ما تزال نائمة ، وسأل :

ـ كيف حالها ؟

قال الأمريكى ، دون أن يدير رأسه :

ـ مدهشة .. ستكون على ما يرام عندما تصحو .

عاد (ريتشارد) بظهره إلى الوراء ، وقد اطمأن عليها ، وفجأة ضحك (ثورنلى) ، قائلًا :

ـ إننى لم أشعر بمثل هذه البهجة من مدة طويلة .

قال (ريتشارد) :

ـ يسعدنى أنك استمتعت بذلك .

فقال (سميث) :

ـ وأنا كذلك لقد سرتنى رؤيتك .

سأله (ريتشارد) :

ـ هل كنت مقيدًا طوال الوقت ؟

ـ نعم .. خصوصًا عندما يقترب أى زائر من المنزل ، وكانا يكممانى أيضًا ، وفى الليل يقيدون يدى فى السرير ، وفى النهار كان أحدهما يقوم على حراستى .

قال (ريتشارد) :

ـ يسعدنى أنك ما زلت حيًا .

قال (سميث) :

ـ ذلك أنهم كانوا يريدون منى معلومات كثيرة ، لن يستطيعوا معرفتها إذا مت ، كما أنهم كانوا يريدون مواجهتى بمن يأتى بحثًا عنى ، ويقع فى الشرك .

ـ وماذا عن الخادمة .

ـ (ترودى) العجوز .. كانت خائفة ، واضطرت للاستمرار فى خدمتهما ، ذلك أنهما هدداها هى وعائلتها ، وكانا يحبسانها فى حجرتها فى الليل .

اقتربت السيارة من القرية ، وقال (سميث) : سر فى الطرق المظلمة ، وابتعد عن ذلك الفندق ، الذى به حفل الرقص .

رأوا الأنوار حول المنصة خارج الفندق ، وسمعوا صوت الموسيقى من خلال الأشجار ، وسارت السيارة فى الظلام ، حتى وصلت إلى خلف سلسلة الفنادق ، عند البحيرة ، وسأل (سميث) بصوت هادئ :

ـ ماذا كنتم ستفعلون عندما تركتم القرية ؟

ـ (فان كورتلاند) و (ثورنلى) كانا سيرحلان بالسيارة ، أما أنا وزوجتى فكنا سنقوم بالتجول فى القرية .

فقال (سميث) للأمريكى :

ـ هل دفعت حساب الفندق ، وأخذت أمتعتك فعلًا للرحيل ؟..

قال (كورتلاند) :

ـ نعم جميعها هنا يا كابتن .

ـ حسن .. يمكنك البقاء خارج الصورة إذن .

ثم قال لـ (ريتشارد) :

ـ أنت وزوجتك من الأفضل أن تتركا السيارة على بعد من الفندق ، أو ربما من الأفضل أن تذهب أنت وحدك .. هل يمكنك أن تتذكر الأشياء التى ستحتاجها ؟.. ولا تنس علبة أدوات التجميل ، خصوصًا طلاء الرموش ، وكذلك أحضر بعض الملابس لى أيضًا ، والنقود .. هل هناك أكثر من مدخل للفندق ؟ حتى يمكنك الدخول خلسة دون أن يراك أحد ؟

ـ إننا نسكن فيلّا ، وأظن أنه من الأفضل أن نذهب معًا ، فذلك يكون أسرع .

ـ أفضل .. سنذهب نحن بالسيارة إلى الطرف الجنوبى من طريق الساحل .. هناك بعض الأشجار ، والأرض مغطاة بالحشائش ، بالقرب من آخر فندق ، سننتظر هناك ، إن الليلة حالكة ، ولن يرتفع القمر إلا بعد مرور بعض الوقت .

هز (ريتشارد) (فرانسيس) بلطف، وجلست تنظر حولها متحيِّرة، وقال (فان كورتلاند)، وهو يبتسم :

- اذهبى الآن مع (ريتشارد) وسننتظركما .. حظ سعيد .

قال (ريتشارد)، وهو يخرج من السيارة إلى الظلام الحالك :

- شكرًا لك .

ووضع ذراعه حول (فرانسيس)، يساعدها على السير، ومضت السيارة فى صمت ..

كانت الفيللا أمامهم على بعد بسيط، ولاح لهم ضوء بداخلها .. كان النور المنبعث من المطبخ، وكانت مجموعة الفنادق حولها صامتة، ولكن حجرات النوم كانت مضاءة، كما لو كان جميع النزلاء قد صعدوا للنوم، أما من كان سيذهب إلى الحفل، فلابد أنه قد خرج ؛ لأن الطريق كان خاليًا أيضًا، فدخلا إلى الفيللا فى سكون، وصعدا متسلِّلين إلى حجرتهما، وقام (ريتشارد) بإغلاق النوافذ، وشد الستائر عليها، وأشعل شمعتين صغيرتين، حتى لايظهر ضوء من الخارج، ونظرت (فرانسيس) نحو السرير، فقد كانت لديها رغبة شديدة فى النوم، ولكنها رأت على حافته رداءً تقليديًا جميلاً مزركشًا، أشار له (ريتشارد) بتعجب، فقالت :

- فراو (شيكتل) أرادت أن أرتديه، وأنا ذاهبة إلى الحفل الراقص .

ثم خلعت جواربها المغطاة بالطين اليابس، وأحضر (ريتشارد) بعض الماء الدافئ المعطر، وقطعة من الإسفنج، وقال لها :

- امسحى وجهك وكتفيك ..

وساعدها لتخلع ملابسها الممزَّقة، ثم قام بوضع قدميها فى إناء به ماء دافئ لغسلهما، وسمعا دقة على الباب، وجاءهما صوت فراو (شيكتل)، تقول :

- هل يمكننى أن أدخل ؟

نظرا إلى بعضهما فى قلق، وفكَّر (ريتشارد) أنهما إذا استمرا صامتين، فربما تظن المرأة أنها أخطأت وترحل، ولكن الباب انفتح ببطء، فقام واقفًا، ووقفت فراو (شيكتل) بالباب لتقول :

- آسفة .. اعذرانى .

وكانت فى طريقها للذهاب، عندما لاحظت ساق (ريتشارد) وهيئة (فرانسيس)، وهى تمسح جروحها بالماء، فدخلت وأغلقت الباب وراءها بسرعة فى صمت، كان وجهها الطيب يملؤه القلق والخوف، وأمسكت بقطعة

الإسفنج، وركعت على الأرض لتغسل قدمى (فرانسيس)، وهى تقول :

- لابد أن تغسل أنت رجلك يا هر (مايلز) .. الجرح عميق .. سأحضر لك أيضًا بعض الماء الدافئ .

قالت (فرانسيس) :

- لاتفعلى من فضلك، فلا يوجد وقت .

ثم عضت على شفتيها، وهى تنظر إلى (ريتشارد)، فقد كان من السهل أن يزل اللسان، عندما تكون متعبة ومتوترة، ونظرت فراو (شيكتل) إليها، ولكنها لم تتكلم، ثم جففت قدمى (فرانسيس) وساقيها بخفة شديدة، وقالت :

- هل توجد صبغة يود ؟

ناولها (ريتشارد) الزجاجة، فوضعت قليلًا على ركبة (فرانسيس)، ثم على كتفها المجروحة، وقالت :

والآن نضع بعض بودرة الثلج فوق هذه الخدوش، فلا تظهر .

قالت (فرانسيس) :

- لقد تهنا فوق الجبل .

قالت فراو (شيكتل)، وقد أعطت ظهرها لـ (ريتشارد)، الذى يبدل ملابسه :

- لقد عرفت أن شيئًا قد حدث لكما .. وكان صديقاكما قلقين كذلك .. لقد رحلا منذ ساعات، والآن لن تذهبا بالطبع إلى الحفل .. كم كنت أتمنى أن أراك ترتدين هذا الثوب .

قالت (فرانسيس) :

- وأنا أريد أن ألبسه أيضًا، فقد نذهب إلى الحفل .

ونظرت إلى (ريتشارد)، فوجدته قد ارتدى قميصًا نظيفًا وشورتًا، فهزت رأسها، وقالت ببطء :

أعتقد أنكما فى مشكلة .

ولم يتكلم (ريتشارد) ..

كان يوزع نقوده، ودليله الجغرافى، وخطاب الضمان، وجواز السفر على جيوب سترته المصنوعة من التويد، وكان يفكر فى كيفية مغادرة المنزل ..

هل يقوم بتقييد وتكميم فراو (شيكتل)، وحبسها فى الحجرة ؟

ماذا يفعل ؟

وقالت (فرانسيس)، وقد ارتدت الثوب، وصففت شعرها، ووضعت المساحيق على وجهها، ثم استدارت نحو فراو (شيكتل)، وهى تسوى بيدها المريلة فوق الثوب :

- إنه جميل جدًا يا فراو (شيكتل) .. إننى أخاف أن أفسده لو ارتديته .. ربما من الأفضل أن ...

قالت فراو (شيكتل) بصوت حزين :

- لا .. إنه رداؤك الآن .. لا حاجة لى به .

كان (ريتشارد) يطوى حلة وقميصًا ورباط رقبة وجوارب لـ (سميث) ، فقالت :

- أنتما راحلان ؟

قالت (فرانسيس) :

- نعم .

- ستحتاجان طعامًا للرحلة .. أهم هؤلاء النازيون ؟

هزت (فرانسيس) رأسها ..

- لقد عرفت ذلك ، عندما حضر ذلك الرجل يبحث عنكما هذا المساء .. يجب ألا يمسكوا بكما ، كما فعلوا مع ابنتى .. عندما تخرجان استعملا الباب الخلفى ، من خلال المطبخ ، وسأعد لكما الجبن والخبز ، وأرجو أن ترحلا بسلام .

قال (ريتشارد) :

- شكرًا لك يا فراو (شيكتل) .. أنت امرأة طيبة ، وأرجوك ، من أجل سلامتك ، أن تتذكرى أنك لم ترينا .. لقد سمعتينا فقط ندخل ونخرج ، وظننت أننا ذهبنا إلى الحفل .. هل يمكنهم التعرف على هذا الثوب ، وأنه يخصك ؟

- لا .. هناك الكثير مثله .. وقد مضى وقت طويل منذ كانت ابنتى هنا .. سأراكما بعد دقيقتين ، عند الباب الخلفى .

وخرجت ، وأغلقت الباب وراءها فى سكون .

قامت (فرانسيس) بوضع المنديل الملوّن على رأسها ، وربطت طرفيه تحت ذقنها ، ثم ارتدت السترة القصيرة ، ونظرت إلى نفسها فى المرآة راضية ، ووضع (ريتشارد) لفة الملابس تحت إبطه ، وأمسك بذراعها ، وخرجا من الحجرة ، وقد تركا حاجياتهما وراءهما ، ونزلا السلم يتحسسان فى الظلام ، واتجها إلى المطبخ ، حيث أعطتهما فراو (شيكتل) لفة كبيرة ، دون أن تتكلم ، ولكن أيديهم تشابكت بحرارة لحظة طويلة ، قبل أن يذهبا ، وسارا بسرعة فوق الحشائش ، وفى ظلال الأشجار والمبانى ، فقد كان القمر يسطع بضوئه الفضى ، ووصلا إلى الفندق الأخير على شاطئ البحيرة ، وعبرا الطريق إلى مجموعة الأشجار التى حددها (سميث) ، و (ريتشارد) يقاوم رغبته فى الجرى نحوها ، ثم سمعا صوت محرك السيارة الذى يدور ، وعادت إلى الخلف نحوهما ، وامتدت الأيدى تجذبهما إلى الداخل ، ثم اندفعت السيارة إلى الأمام ، وقال (ثورنلى) :

- أحسنتما .

وهز (سميث) رأسه بارتياح، وهو يتفقد الملابس التى أحضرها له (ريتشارد)، وسأل :

- وطلاء الرموش ؟

قالت (فرانسيس) :

- نعم .. وكذلك الطعام .

وفتحت لفة الطعام، وقامت بتوزيعه عليهم .

تغيّر الجو داخل السيارة، وكان (فان كورتلاند) يمازح (فرانسيس) وهما يأكلان، وعيناه على الطريق أمامه، وقام (ثورنلى) بإخراج المصباح اليدوى، حسب طلب (سميث)، وساعد (ريتشارد) (سميث) على خلع ملابسه، وتبادل النظر مع (ثورنلى)، عندما خلع (سميث) قميصه، وشاهدا آثار التعذيب على ظهره، ولكن (سميث) لم يهتم، وكان يصفر سعيدًا، وهو يرتدى ملابس (ريتشارد)، التى كانت واسعة عليه، ولكن لا بأس بها، ثم بدأ العمل فى وجهه على ضوء المصباح فى حين كان (ريتشارد) يمسك مرآة حقيبة (فرانسيس) الصغيرة، لينظر فيها (سميث)، وهو يستعمل صندوق التجميل الخاص بـ (فرانسيس) بمهارة، فى تغيير ملامحه، فقام بوضع المساحيق على وجهه، لإخفاء

الكدمات وسوّد حاجبيه مغيّرًا شكلهما، وظلّل التجاعيد فى وجهه، وأخذ يقص شعر رأسه بالمقص الصغير، ثم طلب من (ريتشارد) أن يضع طلاء الرموش الأسود، ويدهن له به شعر رأسه، كما لو كان دهانًا للشعر؛ ذلك لأن راحتيه كانتا تؤلمانه، من الحروق التى بهما، وصفّف شعره بعناية، ثم قام بوضع بعض بودرة الوجه على فوديه، وكانت النتيجة أن تغيّر شكله تمامًا، وقال (ثورنلى)، وهو يبتسم :

- لن يعرفوك الآن أبدًا، إلا إذا نظروا إليك من ظهرك .

وضحك (سميث) لأول مرة، وهو ينظف يديه، والتفتت (فرانسيس) تنظر إليه، وظلت محدّقة به لا تصدق عينيها، حتى أن (كورتلاند) أيضًا رفع عينيه عن الطريق لحظة لينظر إليه، وقال (سميث) :

- لابد أن نقف قليلًا، للتخلص من الملابس التى خلعتها .

وخرج (ثورنلى) ومعه الملابس المهلهلة، واختفى فى الظلام، وعاد بعد فترة، وعاودوا السير بالسيارة، وتذكّر (ريتشارد) فجأة الماركات التجارية على ملابسه، التى أعطاها لـ (سميث)، وقام بنزعها من أماكنها، ثم أعطى (سميث) عصاته أيضًا، وقال :

- لاتفتحها إلا فى مكان آمن ، حتى يمكنك غسلها ، فعليها دماء الكلب .. ثم ماذا عن جواز السفر ؟

قال (سميث) :

- لاتقلق يمكننى الحصول على جواز .. على فكرة عليك أن تتجه إلى هذا العنوان فى (انز بروك) وسندبر لك ولزوجتك جوازات سفر .

وكتب العنوان على ورقة من مفكرة (ثورنلى) ، وأعطاها إلى (ريتشارد) ، وسأله (فان كورتلاند) :

- هل لديك نقود ؟

قال (سميث) ، وهو يربت على جيبه :

- نعم هنا .

ونظر إلى (ريتشارد) نظرة العرفان بالجميل ، وقالت (فرانسيس) فجأة وبانفعال :

- (ريتشارد) .. لقد تذكرت شيئًا الآن .. ماذا عن حساب الفندق ؟

وضحك الجميع ، بما فيهم (سميث) ، وقال (ريتشارد) :

- لقد تركت نقودًا تكفى فى حقيبة ملابسى هناك .. إنهم سيقومون بتفتيشها كما تعلمين .

كانت السيارة قد دخلت شوارع قرية (جينباك) ،

و (سميث) يراقب الطريق المظلم من النافذة ، وقال لـ (فان كورتلاند) :

- توقف عند تلك الناصية .. المحطة إلى اليسار منها .

ثم استدار نحو (ريتشارد) ، قائلاً :

- لقد سببت لك متاعب جمة ، ولكن قد يخفف عنك أن تعرف أننى قد اكتشفت معلومات لها أهمية قصوى ، وبصرف النظر عن إنقاذك لى ، ستكون أنت السبب فى وصولها إلى المكان الصحيح ..

ثم قال لـ (فرانسيس) :

- شكرًا لك على أغنيتك .. إلى اللقاء .

وهدأت السيارة من سرعتها ، ثم توقفت لحظة ، ورأوا خياله يختلط بخيال الأشجار على جانبى الطريق ..

كان يسير ببطء ، متحاملاً على عصا (ريتشارد) ، وعلى رأسه قبعة (ريتشارد) ، تكاد تخفى عينيه ، واتجه نحو المحطة ، فى حين دارت السيارة إلى اليمين ، فى الطريق الى (انز بروك) ..

والى المجهول ..

* * *

٧ - (انزبروك) مرة أخرى ..

كانت السيارة تنطلق بهم فى سرعة ، وأصبحوا على بعد أقل من نصف الساعة من (انربـروك) ، وجلس (ريتشارد) يفكر فى (سميث) ، ويتساءل فى نفسه إذا كان فعلا سيركب ذلك القطار ، أو أنه هناك بيت صغير ، فى مكان ما ، قريب من المحطة ، حيث يقطن أحد أصدقائه ، على كل حال ، لقد قاموا بكل ما فى إمكانهم ، ويجب الآن أن يخرجه من تفكيـره ، وقـال لـ(فان كورتلاند) :

- لقد كنت أفكر فيما سنفعل يا (هنرى) .. أعتقد أنه من الأفضل أن نحذو حذوه ، ونترككما بمجرد أن نصل إلى أطراف (انزبروك) ، عندئذ يمكنك أن تصل كما لو كان لم يحدث شىء ، وأنك فقط قد واجهت بعض المشاكل فى محرك السيارة ، مما أخرك فى الوصول .

قال (ثورنلى) :

- ولكن ذلك لن يكون حلا جيدًا بالنسبة لكما .

قال (ريتشارد) :

- سنتدبر أمرنا بطريقة أو بأخرى .. إذا حصلنا على جوازات السفر .

قال (كورتلاند) :

- وبعض المال .. لن تستطيع التصرف إذا لم يكن معك ما يكفى من النقود .. الشيكات السياحية أو خطاب الضمان لاجدوى منها الآن ، وذلك الرجل (سميث) أخذ كل ما معك .

لابأس .. فلا بد أنه فعل أكثر من ذلك لأناس آخرين ، كانوا فى مشاكل .

قال (كورتلاند) :

- ساعدوا بعضكم وسيساعدكم الله .. أليس كذلك؟.. هل لديك نقود يا (بوب)؟ ، وألقى بحافظته إلى المقعد الخلفى ، والتقطها (ثورنلى) ، وأخرج ما بها ، وأضاف إليه نصيبه ، وعد المجموع ، ثم قال :

- إن ذلك يكفى فقط مصاريف جواز السفر ، فهم يتقاضون مبالغ كبيرة لذلك ، ستحتاج لأكثر من ذلك ، يمكننى صرف شيك فى البنك غدًا ، ولكن كيف أوصل لك النقود؟

قال (ريتشارد) :

- اسمعا .. سنترككما على مشارف (انزبروك) ، ونسير إلى ذلك العنوان ، الذى أعطاه لى (سميث) .. لقد حددت المكان فى الدليل معى ، ويمكننا أن نصل إليه .. إننا

فى ملابسنا هذه لن يتعرفنا أحد ، سنكون كأى زوجين يسيران فى ضوء القمر ، أما أنتما فما يجب أن تقولاه هو أننا تركناكما بعد ظهر اليوم ولم نعد ، وكان عليكما مغادرة (بيرتيسو) ، لأن (هنرى) عنده موعد عمل هام .. (هنرى) حاول أن تقابل زميلك فى العمل الليلة ، عندما تصل (انزبروك) .. اجلسا فى مكان عام معروف ، لتناول بعض المشروبات .

قال (كورتلاند) ، وهو يبتسم :

- إننى فعلا محتاج إلى ذلك .

تذكرا أنكما لاتعرفان بوجود منزل بنوافذ حمراء ، أو أنكما تعرفان شيئًا عنا ، بعد أن غادرنا (بيرتسو) عصر اليوم ، وأنت يا (بوب) ، عندما تحضر النقود ، سيقوم أحدنا بمقابلتك غدًا ، حوالى الحادية عشرة صباحًا ، قد تقوم بذلك (فرانسيس) ، فتتذكرها أفضل منى .. إن المحطة ليست مناسبة ، فستكون حتما مراقبة ، كما أن المطاعم أيضا خطرة .

وفكر قليلًا ، ثم أضاف :

- كنيسة (الفرنسيسكان) مكان مناسب ، فهناك الكثير من السائحين يرتادونها صباح السبت ، ويمكنك التجول حول ساحة الإمبراطور (ماكسميليان) ، وأمسك فى يدك مجلة أو جريدة ، وضع النقود فى ظرف داخل المجلة ، وعندما ترى (فرانسيس) ادخل واجلس فى الكنيسة

نفسها ، واختر مكانًا معتمًا ، وعندما تنتهى من تأملاتك غادر المكان ، واترك المجلة فى مكانك ، عندئذ ستجلس (فرانسيس) فى ذلك المكان .

أعاد (ثورنلى) هذه التعليمات على سمعهم ، ليتأكدوا من أنه قد استوعبها جيدًا ، وقال (ريتشارد) :

- عندما يكون لدينا جوازات السفر والنقود ، سنعبر الحدود ، وأقرب نقطة للعبور هى (بريز) .

قال (كورتلاند) محذرًا :

- إن بها حراسة مشددة .. الإيطاليون يحرسون جنوب (التيرول) .

ربما نحاول عن طريق الجبال ، إذا كان القطار خطرًا من الحدود السويسرية .

- ثم بعد ذلك؟

- نتجه إلى (باريس) .

متى تظن أنكما ستكونان هناك؟

إذا واتانا الحظ ، سنترك (انزبروك) يوم الأحد ، وقد نكون فى (باريس) فى نهاية الأسبوع القادم ، وسنترك لكما خبرًا فى القنصلية ، وسنحتفل معًا هناك .

قال (كورتلاند) :

- أتمنى ذلك ، ولكن لدى عمل ... سأراكمـــا فى (انجلترا) بعد ذلك ، فى طريقى إلى وطنى ، فلدى عنوانكما ، وعندئذ تخبرانى بالقصة كلها .

قالت (فراسيس) :

ـ نعدك بذلك ، ولابد أن تحضر لرؤيتنا .

ثم قال (كورتلاند) :

ـ أكره أن أكون نذير شؤم ، ولكن ماذا لو حدثت لكما مشاكل فى (انزبروك)؟

سنتصل بك هاتفيًا ، وإذا لم نستطع عندئذ ، فالأمر خطير ، وأيضا بالنسبة لك لو ساعدتنا ، لقد زججنا بك فى مشاكل كافية .

سأنتهى من عملى هنا فى منتصف النهار غدًا ، وسأكون خاليًا لمدة يومين ، وإذا ما احتجتما إلىَّ ، اتركا رسالة فى الفندق ، تقول : إن جريدة (التايمز) تطلبنى فى مهمة ، وسأعرف أنها منكما ، وسأخبر (بوب) .

قال (ريتشارد) :

ـ هناك أمر هام يا (هنرى) .. أرجوك أن ترسل برقية إلى (جنيف) صباح الغد ، لاتنس ذلك .. أبرق بأن (الحجز لم يلغ ، وسنصل يوم الجمعة) ، واحفظ هذا العنوان .. هل حفظته؟ حسن ذلك مهم جدًا .

وبدأت أنوار المدينة تلمع أمامهم ، وفجأة قال (فان كورتلاند) بصوت هادئ :

ـ يؤسفنى أن أقول إن هناك سيارة تتبعنا منذ مدة .. لقد لاحظت أنوارها ، ولكنها ما زالت بعيدة .. أخشى أن تكون لأصدقائكم .. سأبطئ عند الناحية القادمة .. استعدا .

قال (ريتشارد) :

ـ لن نشكركما ، إلا عندما نراكما فى (باريس) أو (أكسفورد) .. إلى اللقاء إذن .. لابد أن نلتقى .. وتذكّر البرقية .

قالت (فرانسيس) ، وهى تنزل من السيارة بسرعة :

ـ سنراكما .

ثم جرت مع (ريتشارد) ليختبئا فى بعض الشجيرات ، حتى مرت السيارة التى تتبع (فان كورتلاند) ، فى طريقها إلى المدينة ، وانتظرا بضع دقائق ، حتى خلا الطريق تمامًا ، ثم سارا فى صمت ، فى ظلال الأشجار ، ووصلا إلى منطقة المنازل بسهولة ، ووجدا أمامهما شابًا وفتاة ، وقد تشابكت أيديهما وكان الشاب يتكلم والفتاة تضحك وهى تنظر إليه ، وقال (ريتشارد) :

ـ انظرى .. سنفعل مثلهما .

وسارا بنفس الخطوة ، محافظين على المسافة بينهما ، ووضع (ريتشارد) ساعده حول خصر (فرانسيس) فضحكت ، وقال (ريتشارد) :

ـ هكذا .. تمامًا .

وضحكت (فرانسيس) مرة أخرى ، وتبعاهما نحو الكوبرى فوق النهر ، وأمام الكوبرى كانت هناك مساحة فضاء ، حيث تتقاطع طرق أخرى ، جاء منها آخرون من الشباب والفتيات ، العائدين من تمشيتهم فى ضوء

القمر إلى (انزبروك) ، كما كانت هناك بعض السيارات ، التى أوقفها اثنان من الشرطة ، عند اقترابهـا من الكوبرى ، نظر (ريتشارد) إلى (فرانسيس) ، وقال لها بعض كلمات بالألمانية ، وكان الشاب والفتاة أمامهما وهما يعبران الكوبرى ، ونظر إليهما الشرطيان نظرة خاطفة ، ثم أوليا اهتمامهما إلى سائق السيارة الواقفة أمامهما ، وبمجرد أن مرا من فوق الكوبرى ، دخل (ريتشارد) و(فرانسيس) فى أحد الطرق الفرعية ، بعيدًا عن النهر ، ولكن الرحلة إلى المنزل الذى يريدانه كانت كالكابوس بالنسبة لـ(فرانسيس) ، فقد احتفظ (ريتشارد) بمشيته الهادئة ، ليبدو أنهما عائدان إلى منزلهما من تمشية مثل الآخرين ، أما هى فكانت تشعر بعضلات ساقيها وظهرها يؤلمانها ، وهى تجر قدميها ، حتى وصلا إلى المنزل الذى أعطاهما (سميث) عنوانه ، ودق (ريتشارد) الباب ، بالطريقة التى أوضحها له (سميث) ، ووقفا ينتظران فى الشارع الضيق المظلم ، وبدأ يتساءل إذا كان قد أخطأ العنوان ، وأخذ يتذكر العنوان المكتوب على الورقة ، والتعليمات التى فيها .. إنه يتذكره جيدًا .. ودق مرة أخرى ، وفتح الباب بسرعة شديدة ، وعرف أن شخصًا ما كان واقفًا وراء الباب ، ينتظر الدقة الثانية ، وكان الظلام حالكًا ، ولم ير (ريتشارد) من فتح الباب ، ولكنه قال فى صوت هامس :

- هز شولتز ؟ .

واتسعت فتحة الباب ، وقال صوت امرأة :

- ادخل .

وبمجرد أن دخلا أغلق الباب بترباس ضخم وراءهما ، وكان هناك ضوء ينبعث من الداخل ، وقادتهما المرأة نحوه إلى حجرة صغيرة بسيطة ، ووضع الرجل الجالس فيها جريدته ، وأخذ ينظر إليهما يتفحصهما دون أن يتكلم ، وتكلم (ريتشارد) بالطريقة البافارية ، وأمسك الرجل بالجريدة مرة أخرى ، وقال :

- ولكن اسمى ليس (شولتز) .

تعلقت عينا (ريتشارد) بصورة الرجل ذى الشارب المضحك ، والشعر المدلى على جبينه ، المعلقة أمامه على الحائط ، وشعر بالعرق يتفصد من راحتيه ، ثم أدرك أنه مايزال ممسكا بالورقة الصغيرة فى يده ، فناولها للرجل ، ونظر فيها ، ثم ألقاها على المائدة ، وسأل :

- من الذى أعطاك هذه؟

- رجل من (بيرتيسو) .

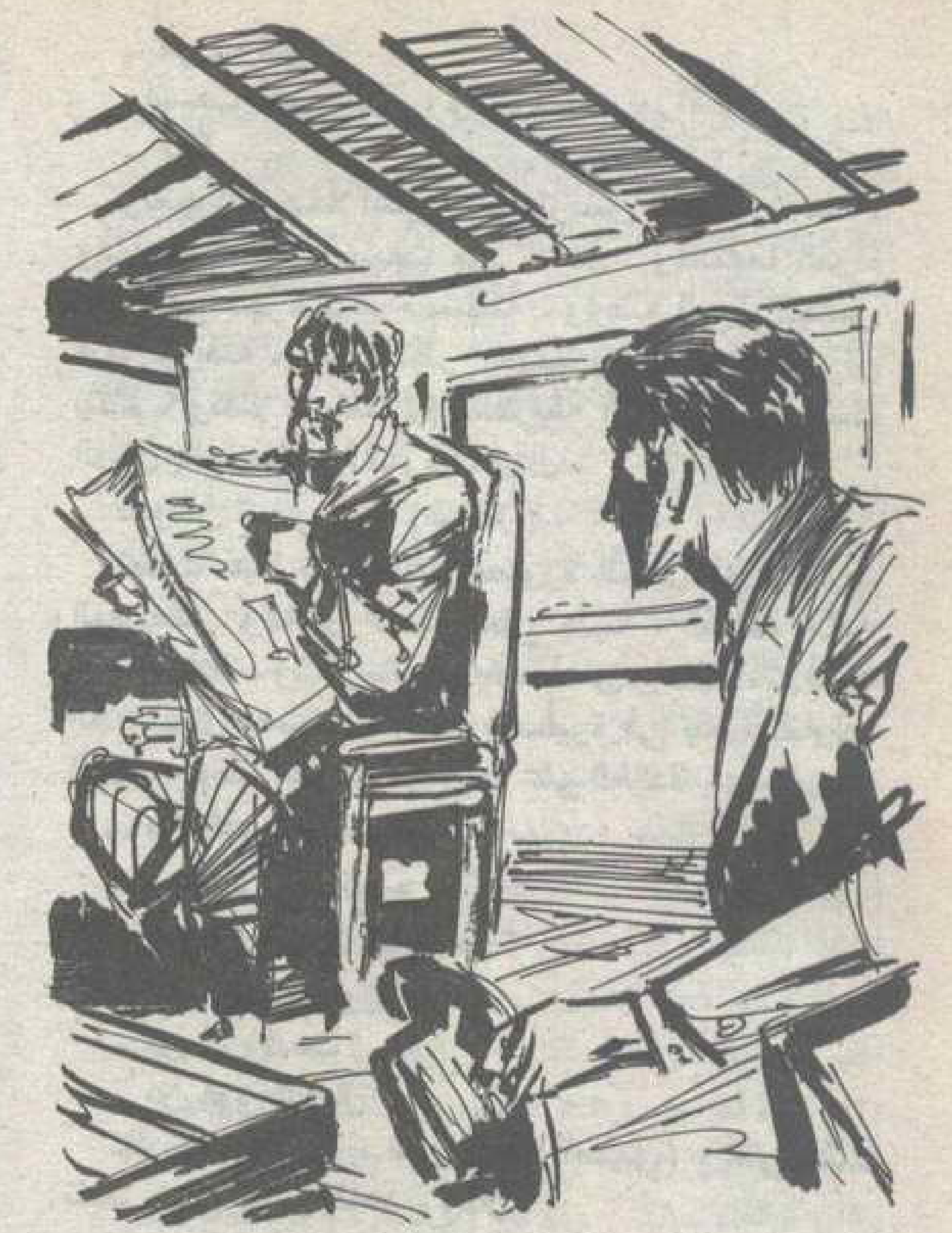
- هل كان اسمه (جيرولد)؟

- لا .. (مسبلبرون) .

- من أين قدمت؟

- من فوق الجبال .

نظر إليه الرجل ، ثم إلى (فرانسيس) ، التى كانت تنعس على أحد المقاعد ، وقال :



تعلقت عينا (ريتشارد) بصورة الرجل ذى الشارب المضحك، والشعر المدلى على جبينه..

- اجلس .

كان صوته الآن ودوذا دافئا ، وكذلك نظرة عينيه ، وقال :

- ارتح .. هل أنتما جائعان؟

هز (ريتشارد) رأسه ، وفى الحال تركت المرأة مكانها وراء الباب ، حيث كانت تقف ، وخرجت إلى المطبخ ، وسمع (ريتشارد) صوت الآنية وهى تضعها على الموقد ، وقال الرجل مرة أخرى :

- ارتح الآن .. وكيف حال صديقنا من (بيرتيسو)؟

- إنه الآن على مايرام .

- كان مريضا إذن .. هكذا ظننا ، فلم نسمع عنه من مدة طويلة .. هذه أخبار طيبة .. وماذا عنك أنت؟ قلت إنك فى حاجة إلى غرفة .. هل هناك شىء آخر؟

- المعتاد .

- هل ستترك بلادنا السعيدة؟

كان صوت الرجل مملوءا بالسخرية ، وهو ينظر إلى الصورة المعلقة على الحائط ، ثم قال :

- حسن يمكننا تدبير ذلك .. أين وكيف ستسافر؟

- إلى (إيطاليا) .. ربما بالقطار .. وبأسرع مايمكن .

- بالطبع هذا مفهوم .. يمكنكما أن تكونا أمريكيين ، أو إنجليزيين فإنكما تشبهانهما .. هل تتكلمان الانجليزية؟

هز (ريتشارد) رأسه بالنفى .

ـ إذن لابد أن تسافرا كألمان .. ما رأيك فى وظيفة مهندس أو معلم .. سأحضر لكما الملابس المناسبة ، ستدفع أكثر بالطبع ، ولكن ذلك يستحق كل (فينيك) ستدفعه .

ـ كم ستتكلف العملية ؟

ـ كم معك أنت ؟

قال (ريتشارد) :

ـ ثلاثمائة مارك فقط ، ويمكننا الحصول على نقود إضافية لتذاكر القطار .

قال (شولتز) ، وقد ارتاح لإجابة (ريتشارد) :

ـ حسن جدًا ، ثلاثمائة مارك تكفى .

وقام من مكانه ، ومشى نحو (فرانسيس) ، وكان يعرج قليلًا فى مشيته .. كان فى حوالى الأربعين ، أصلع الرأس ، ممتلئ القوام ، ونظرت (فرانسيس) إليه شاحبة صامتة ، ورأت نظرته المتفحصة من وراء منظاره السميك ، والابتسامة الطيبة على فمه ، وكان صوته حانيًا وهو يقول :

ـ إنك تبدين خائفة منى .. لابد أن تختفى هذه النظرة الخائفة من عينيك .. فى بعض الأحيان يبقى الناس عندنا هنا لمدة أسبوع ، حتى تختفى تلك النظرة لابد أن تكونى سعيدة جدًا ومبتهجة ، عند عبورك للحدود ، فأنت زوجة مهندس ، يأخذك زوجك لقضاء إجازة فى (فلورنسا) ،

ولكن لابد أن نغير شعرك .. إنه أجل من اللازم .. (ليزا) .

جاءت المرأة من المطبخ ، وهى تحمل وعاءين للحساء ، يتصاعد منهما الدخان ، وقال (شولتز) :

ـ ليزا .. أى لون تعطين لهذا الشعر ؟ أسود ؟

ـ لا .. ليس مع هاتين العينين الزرقاوين .. البنى يكون طبيعيًا أكثر ..

ـ حسن .. اجعليه بنيًا .. بنيًا باهتًا .. يمكننا أن نبدأ الليلة .. الصبغة والصور ، وغدًا يمكننا إحضار الملابس والأوراق ، وبذلك تسافران غدًا فى الليل ، والآن تناولا الطعام .

أعاد صحن الحساء الساخن الحياة إلى (فرانسيس) ، ووضعت يداها الباردتين حوله ، وشعرت بالدفء يسرى إليها ، ونظرت إلى الساعة على المنضدة .. كان الوقت يقترب من منتصف الليل ، شعرت بالدفء والأمان لأول مرة منذ ست ساعات .

كان الرجل يراقبها فى فضول ، وقال بلطف :

ـ كلى .. الحساء جيد أليس كذلك ؟ ثم قال لـ(ريتشارد) :

ـ لقد واجهتما المصاعب .

ـ نعم .

ـ هل ستستطيعان السفر غدًا ؟

ابتسم (ريتشارد) ، وهو يعرف قوة إرادة (فرانسيس) ، وقال :

- نعم .. سنكون على ما يرام .. يمكننا الاستمرار حتى نصل إلى (إيطاليا) ، وبعدئذ .. لا يهم .

- عندما ذكرت (إيطاليا) فكّرت أنه من الأفضل لكما أن تعبرا الجبال ، فالخطر أقل ، ولكن ..

ونظر إلى (فرانسيس) ، وإلى حالتها ، وقال :

- أظن أن القطار مناسب لكما ، وسنحاول جهدنا لنجعله آمنا .. هل أنت مستعدة يا (ليزا) .. حسن جدًا .

انتهى (ريتشارد) من الأكل ، وبدأ الرجل يقص له شعره ، فى حين قامت المرأة بوضع بعض الآنية والزجاجات على المنضدة ، وشعرت (فرانسيس) بعينيها تغمضان ، وقال الرجل :

- إذا أمكن نقلها فى هذا المقعد قبل أن تنام ، ستقوم (ليزا) بالعمل فى شعرها ، ثم بعد ذلك تذهب للنوم فى الدور العلوى .

انتقلت (فرانسيس) إلى ذلك المقعد ، ووضعت رأسها على ظهره ، وأغلقت عينيها ، وهى تشعر بيدى المرأة فوق شعرها تبلّله .

وعندما أيقظوها بعد فترة ، رأت (ليزا) تنظر إليها بابتسامة كانت كافية ، لتعدّ (فرانسيس) لما ستراه فى المرآة الصغيرة ، التى ناولتها إياها ..

كان شعرها أسوأ مما توقعت .. بنى باهت لا حياة فيه ، وقد شُدّ إلى الوراء ، وعقص خلف عنقها ، كان

(ريتشارد) أيضا يبتسم ، ثم رأت رأسه وقد حلق شعره كله ..

كان منظره غريبًا ..

وضحكت ..

وكان الرجل يضع آلة تصوير فوق بعض الكتب على المنضدة ، وقال مبتسمًا يشجعها :

- هذا أفضل .. الجميلات يجدن فى العادة صعوبة فى الهرب .. الآن اجلسى هنا معتدلة ، وسننتهى من التصوير فى الحال ، وتذهبين للنوم .

كذلك قام بتصوير (ريتشارد) ، وقد فتح عينيه بشدة ، وذقنه إلى الأمام ، مما أعطاه تعبيرًا غريبًا ، وقال (شولتز) وهو يهز رأسه :

- حسن جدًا .. هذا هو ما نريده ، ثم تبعا المرأة إلى أعلى ، على ضوء شمعة ، وساعدها (ريتشارد) على خلع ملابسها ، قبل أن تستغرق فى النوم .

نوم عميق جدًا ..

★ ★ ★

٨ ـ (فرانسيس) هى (فرانسيس) ..

استيقظت (فرانسيس) ، وهى تشعر بأنه هناك شىء عليها أن تفعله ، ونظرت حولها فى الحجرة الغريبة ، وبدأت تتذكر ماحدث فى الليلة السابقة ، ووضعت يدها على شعرها ، وجدته جاف الملمس خشنًا ، لم يكن ذلك حلمًا فـ(ريتشارد) إلى جانبها ، حليق الرأس مثل طفل يشكو من الحمى ، وكان مايزال نائما ، وشعرت بنفسها يغلبها النعاس مرة أخرى ، ثم وقع نظرها على حقيبة يدها ، موضوعة على منضدة صغيرة ، وتذكَّرت النقود ، وخرجت بسرعة من السرير ، وهى خائفة أن تكون قد تأخرت على موعدها مع (بوب ثورنلى) ، وبعد لحظات من الدوار الخفيف تمالكت نفسها ..

لقد أفادها النوم بعمق ، وتحسَّنت حالتها ، ونظرت فى ساعة (ريتشارد) ، وعرفت أنه مايزال أمامها وقت كاف ، فاغتسلت ، وارتدت ملابسها ، ووضعت بعض المسحوق على وجهها ، حتى تخفى لون بشرتها الوردى ، ثم مسحته قليلا .. لقد تغير مظهرها بهذا الشعر البنى الباهت ، فى لون الفأر ، ولكن لايمكن أن تغير من

عينيها على كل حال ، ومالم تقابل شخصًا يعرفها جيدًا ، فلن يستطيع أحد أن يظن أنها تلك الفتاة الانجليزية الشقراء ، التى لابد وأنهم وزعوا أوصافها ، وسرَّحت شعرها ، وعقدته من الخلف ، كما فعلت المرأة (ليزا) بها أمس ، وقبل أن تغادر الحجرة ، فتحت دليل (ريتشارد) ، وتأكدت من الطريق إلى كنيسة (الفرنسيسكان) ، ثم أخذت معها بعض النقود الصغيرة ، من جيب (ريتشارد) ، حتى يمكنها دفع تذكرة الترام ، وتذكرة الدخول إلى الكنيسة إذا ما لزم ذلك ، ثم قبَّلت (ريتشارد) بخفة على جبينه ، ونزلت إلى أسفل .

كانت (ليزا) فى حجرة المعيشة ، وبدت عليها الدهشة لرؤيتها :

ـ لقد ظننت أنك ستنامين طوال الصباح .

ـ لابد أن أخرج .

هزَّت المرأة رأسها محذِّرة ، واستطردت هى تقول :

ـ لابد لى من الحصول على النقود لرحلتنا .

وافقت المرأة على ذلك ، وقالت :

ـ اشربى بعض القهوة أولا .. سأحضر لك فنجانا .

وذهبت إلى المطبخ ..

كانت (ليزا) مقبولة الشكل ، وطيبة ، ولكنها تتكلم بطريقة عملية ، ولاتحب الثرثرة ، وارتاحت (فرانسيس) لذلك ؛ فقد كانت تخجل من لهجتها البافارية ، وشربت

القهوة ، وهى تنظر من النافذة إلى حديقة متواضعة خلف المنزل ، ثم قامت تريد الخروج ، فقالت المرأة :

- ليس من هذا الطريق ، اخرجى من هذا الباب ، واعبرى الفناء ، ثم ادخلى من الباب الذى فى نهاية الممر ، وسيرى داخل ذلك المنزل ، وستجدين نفسك فى محل أحذية ، .. قولى فقط وأنت تمرين إن ليزا أرسلتك ، وسيكون كل شئ على مايرام .

- أرجوك أن تخبرى زوجى أننى سأعود حوالى الثانية عشرة .

هزت المرأة رأسها ، ثم وضعت على كتفى (فرانسيس) شالا من الصوف ، وقالت :

- اتركى هذا فى محل الأحذية .

ولم تنتظر حتى تشكرها (فرانسيس) ، بل حملت أقداح القهوة ، واتجهت إلى المطبخ ، وبينما هى تدفع بابه ، ابتسمت ابتسامة ودودا ..

وحدث كل شئ كما قالت (ليزا) تمامًا ، ولم يتوقف الحذاء الجالس عن عمله لينظر إليها ، وهى تضع الشال على منضدة إلى جانبه ، كما لم يبد عليه أنه سمع كلماتها ، وخرجت إلى الشارع من المحل ، واختلطت بالمارة ..

كانت الزوجات يحملن حقائب مشغولة من الخيط ، ممتلئة بالخضراوات ، والأطفال يتجمعون فى فتحات

أبواب المنازل ، وهم يلعبون ، ومشت وقد تزايدت ثقتها فى نفسها إلى نهاية الشارع ، وإذا تبعت قضيب الترام من هنا ، فإنها ستصل بسهولة إلى شارع الكنيسة .. إن هذه الطريقة أطول ، ولكنها آمنة ، كما أن لديها وقتًا كافيًا ..

مشت وسط زحام الناس ، وشعرت بالأمان .. كانت مجرد فتاة أخرى ترتدى الزى الشعبى ، وعند نهاية الشارع الضيق المؤدى إلى الميدان ، الذى به الكنيسة ، كان زحام الناس شديدًا ، وحاولت (فرانسيس) أن تتجنب سيدتين ضخمتى الجثة ، احتلتا فراغ الرصيف ، وأفسحت لهما الطريق ، ووقفت إلى جانب نافذة حانوت يعرض أحذية التسلق والأدوات الرياضية ، ثم اصطدمت بفتاة تخرج من باب الحانوت ، وكانت فتاة طويلة شقراء ، وقد امتلأ ذراعاها ببعض اللفائف ، فتوقفت (فرانسيس) فى دهشة ، ثم تمتمت بكلمات اعتذار ، ولكن الفتاة ظلت واقفة ، وعيناها على وجه (فرانسيس) ، التى أسرعت فى طريقها ، فقد كانت الفتاة هى (آنى) خادمتهم ، التى تبدو تمامًا مثلما كانت عندهم فى (أكسفورد) ، وقالت (فرانسيس) لنفسها ، وهى تسير بسرعة :

- لقد نظرت إليها مباشرة أكثر من اللازم .. لقد عرفت عينى ، أو ربما شعرت أننى أعرفها ، ونظرت إلى نفسها فى نافذة متجر آخر ، ولم تجد هناك شبهًا كبيرًا بما كانت عليه ، ولكن عليها أن تراقب عينيها وطريقة مشيتها

كذلك ، وعليها ان تدق الأرض بكعبيها ، كما يفعلون هنا ، وعندما وصلت إلى مكان الكنيسة ، وكانت على وشك الدخول ، نظرت وراءها ..

كانت (آنى) ما تزال هناك ، وعندما نظرت (فرانسيس) تقدمت (آنى) نحو الكنيسة أيضًا ، ندمت (فرانسيس) على هذه النظرة الثانية .. لقد كان ذلك غباءً منها ، وأسرعت فوق درجات سلم المبنى ..

كان المكان يعج بزوار يوم السبت ، ودفعت تذكرة الدخول .. على الأقل ذلك سيمنع (آنى) من الدخول وراءها إلى الكنيسة ، فإنها لم تكن تنفق أكثر من متطلباتها الضرورية فقط ، عندما كانت فى (أكسفورد) ، ربما تظن الآن أنها قد أخطأت .

وعند ساحة الإمبراطور (مكسميليان) ، رأت (ثورنلى) ، وكان يقف أمام تمثال الملك (أرثر) ، وفى يده مجلة ، وشعرت بالراحة عند رؤيته .. إنه يبدو غير مبال بما يحدث حوله ، وتجولت حول التماثيل الأخرى ، كما كان يفعل الآخرون ، ولم تنظر إليه وهى تمر من أمامه ، وبعد أن انتهت من مشاهدتها لجميع التماثيل ، دخلت إلى الكنيسة ، وكان (ثورنلى) جالسًا فى الظل ، واتجهت نحوه ، فوقف ليدعها تمر ، دون أن ينظر أحدهما إلى الآخر ، وترك المجلة فى مكانه ورحل ، وجلست إلى جانبها ، وثوبها الفضفاض يغطيها ، وبعد عدة دقائق مدت يدها تحت الثوب لتأخذ المظروف الصغير من داخل

المجلة ، وتخفيه فى راحتها ، وانتهى الأمر ، وخرجت إلى الشارع ، ورفعت من على رأسها المنديل ، وبينما هى تلفه حول كتفيها ، وتربطه من الأمام ، وضعت المظروف داخل صدرها ، ولم تر أثرا لـ(بوب) ، ولكن كانت (آنى) هناك .. لقد تخلصت من لفائفها ، وجلست فى الميدان أمام الكنيسة ..

لقد رأت (فرانسيس) ، وأخذت تجرى نحوها ..

وعضت (فرانسيس) شفتها ..

لقد كان هناك جنديان أمام الكنيسة ، إذا حاولت تجنب (آنى) ستلفت نظريهما ، ولم يكن أمامها وقت للتصرف ، فإنهما قد لاحظا (آنى) وهى تجرى ..

وقالت (فرانسيس) بصوت فيه سعادة وحماس :

- (آنى) .. لم أرك منذ أسابيع .. كيف حالك؟

نظرت (آنى) إليها فى دهشة بالغة ، جعلتها لاتستطيع الكلام .. وكانت لهجة (فرانسيس) هى التى أدهشتها ، فلم تكن هى الألمانية السليمة ، التى كانت تتكلمها فى (أكسفورد) ، ووضعت (فرانسيس) يدها بسرعة على ذراع (آنى) ، وقادتها إلى الأمام ، وهى تضغط عليها محذرة ، وقالت :

- كيف حال أمك وأبيك؟

- فى أحسن حال يا ..

وزاد ضغط يد (فرانسيس) على ذراعها ، مما جعلها تتوقف عن اللقب .

ـ وإخوتك؟
ـ على ما يرام .
كانا قد ابتعدا فى أمان عن الجنديين ، وابتسمت (فرانسيس) ، وهى تقول :
ـ لاتنزعجى يا (آنى) .. كل شىء على ما يرام .
قادتها (آنى) إلى الحديقة الصغيرة ، عبر الميدان ، وفى ظلال وهدوء الأشجار ، قالت (آنى) ، وهى على وشك البكاء .
ـ يا إلهى يا سيدتى المحترمة .
ـ لاتقلقى يا (آنى) ، وأرجو ألا تنادينى بذلك .
ـ لقد عرفت أنه هناك مشاكل حدثت لكما .
ـ كيف؟
ـ لقد عرفت أنكما كنتما هنا فى (انزبروك) منذ أسبوع .. هناك صديق لأخى يعمل فى الفندق ، الذى كنتما فيه .. كان يعرف أننى عشت فى (أكسفورد) ، وأخبرنى عن اثنين من النزلاء الإنجليز ، اللذين قدما من (أكسفورد) ، فعرفت أنكما هنا .
ـ كان اسمه (جوهان) .. أليس كذلك؟
تضرجت وجنتا (آنى) بالاحمرار ، وقالت :
ـ نعم .. عندما عرف أننى كنت أعيش معكما ، جعلته يعدنى بألا يخبر عائلتى عن وجودكما .
اندهشت (فرانسيس) ، وقالت :

ـ لماذا يا (آنى)؟
بدا على (آنى) التوتر ، وقالت :
ـ أختى دائما لا تصدق ما أرويه عن (انجلترا) وعندما أحكى لها عن منزلكما وملابسكما تضحك غير مصدِّقة ، وإذا كانت قد عرفت بإقامتكما فى ذلك الفندق ، كانت ستسخر منى .
ـ إننا أقمنا فى ذلك الفندق يا (آنى) ؛ لأننا نحب المدينة القديمة .
قالت (آنى) :
ـ نعم .. أعرف .. وهذا هو ما قاله (جوهان) للبوليس اليوم .
توقفت (فرانسيس) لحظة ، ثم قالت :
ـ (آنى) .. أخبرينى بكل ما تعرفين .
ـ لقد رأيت (جوهان) صباح اليوم ، فإننا نتقابل فى العادة عندما أذهب إلى وسط المدينة بدراجتى .. اليوم مبكرا وصل الجستابو إلى الفندق ، وأخذوا يفتشونه ويسألون عنكما خاصة .. (جوهان) قال :
ـ إنه لايعرف غير أنكما من (أكسفورد) ، وفى إجازة .
ـ وماذا عن صاحب الفندق؟
ـ لقد ترك الفندق ، بعد أن تلقَّى مكالمة هاتفية مساء أمس ، ولم يره أحد من وقتها ، لذلك كان (جوهان) هو المسئول ، عندما جاء البوليس .

لم تتكلم (فرانسيس) ، فإن مستر (سميث) يبدو أنه فكر فى كل شىء ، وقام بإخطار (كرونستاينر) فى الوقت المناسب ، ولكن الآن افتضح أمرهما هى و(ريتشارد) ، ولن يصدقوا أنهما مجرد سائحين ، ثم سألت (فرانسيس) :

- هل البوليس يعرف أنك كنت عندنا فى (أكسفورد)؟
- لا .. (جوهان) لم يقل ذلك قط .. لم يرد ذكر اسمى .
- آسفة أننا تقابلنا اليوم يا(آنى) .. من الأفضل أن أتركك الآن ، فهناك خطورة عليك .
- ولكن ياسيدتى لابد أن أساعدك .. ما هى المشكلة؟
- يجب أن نرحل من (النمسا) فورا .

صمتت (آنى) برهة ، ثم قالت :

- (جوهان) يمكنه أن يقودكما عبر الجبال .
- إلى (ألمانيا)؟ ذلك أسوأ لنا .
- إنه أيضا يعرف جنوب (التيرول) .. لقد ولد هناك .. لقد هرب عبر الجبال ، عندما كان الإيطاليون يجندون النمساويين للحرب فى (الحبشة) .
- الحدود هناك عليها حراسة مشددة .

حاولت (فرانسيس) أن تتذكر ما قاله (شولتز) ليلة أمس ، عندما كان يغلبها النعاس ..

لقد نصح بعبور الجبال ، أفضل من القطار .. إنها أيضا لا تفضل القطار ، لأنه يكون أشبه بالمصيدة ، وقالت (آنى) :

- ولكن هناك طرق لمن يعرف الجبال .. (جوهان) يعرفها .

ترددت (فرانسيس) ، ولكنها قالت :

- لا يا (آنى) .. كما أن (جوهان) يجب ألا يتعرض للخطر من أجلنا .
- إنه سيقوم بذلك ، لو طلبت منه .
- لا يا (آنى) .. لاتخبرى أحدا أنك رأيتينى ، ولاحتى (جوهان) .

كانت (آنى) مازالت تفكر فى طريقة ، ثم قالت :

- لايمكننى أن أطلب منك الحضور إلى منزلنا .. إن أختى تكره الإنجليز ، على الرغم من أنها لاتعرف أحدا منهم ، كما أن إخوتى لن يساعدوا؛ فإنهم خائفون مثل أبوى .
- شكرا جزيلا لك يا (آنى) ، ولكن لاتفكرى أنت أيضا فى مساعدتنا .

بدأت (آنى) فى البكاء ، ونظرت إليها (فرانسيس) فى أسى :

- أرجوك يا (آنى) لاتبكى .. سنكون على ما يرام .
- أين سيدى؟
- إنه ينتظرنى .. لابد لى من الرحيل الآن ، وإلا سيقلق .
- أرجوك أن تخبرينى بالعنوان ، وعندما أفكر فى خطة لكما ، سأحضر عصر اليوم لأخبرك بها .

خطرت لـ(فرانسيس) فكرة ، وقالت :

- تقولين إن (جوهان) يعرف طريقًا جبليًا ؟ هل يمكنه رسم خريطة لنا ، ثم تقومين أنت .. لا .. لافائدة من إرسالها بالبريد ، فقد يكون (شولتز) معروفًا باسم آخر .. كيف إذن ؟

قالت (آنى) :

- سأحضرها أنا لكما .

- إذن عليك بالحضور ، عندما يحل الظلام .. هل يمكنك الخروج هذا المساء ، دون أن يشك فى ذلك أحد ؟

- نعم فاليوم السبت ، وأكون فيه مسئولة عن حانوت أخى ، وفى العادة أتأخر فى العودة إلى المنزل .

- ولاتخبرى (جوهان) أن الخريطة لنا .. أرجوك يا (آنى) .. فإن ذلك أسلم للجميع .. هل تستطيعين أن تجدى سببًا لطلبها منه .

قالت (آنى) :

- إنها يمكنها التصرف مع (جوهان) ، وأعادت على سمع (فرانسيس) العنوان الذى أخبرتها به ، الليلة ستضع الخريطة من تحت الباب الخارجى لذلك المنزل ، ثم تنسى ذلك العنوان للأبد ..

وعدت بذلك ، وكانت تبتسم مرة أخرى و(فرانسيس) تودعها ، قبل أن تفارقها ، كانت تبدو سعيدة لأنها ستقوم بمعاونتهما ..

وعبرت (فرانسيس) الطريق ، وكانت أيضًا سعيدة بهذا الحل ، إن هذه الخريطة ستكون مفيدة جدًا ، خاصة وأن القطار له خطورته .. إنهم يبحثون عنهما دون شك ، وفكرت فى (كرونستاينر) .. سيراقبون القطارات ، وربما يفتشونها أيضًا ، أما بالنسبة لاعطاء (آنى) العنوان ، فإنها ستفى بوعدها ، وهى غير مشتبه فيها .. لن يتبعها أحد ، كما قد يفعلون مع (هنرى) أو (بوب) .. كما أن (آنى) لاتعرف أهمية المنزل .. إنه مجرد منزل ينزلون به بالنسبة لها ، وهناك الكثير مثله فى تلك المنطقة .

بدأ كل شىء يبدو سهلًا ، وإذا قام (هنرى) بتوصيلهما إلى الحدود ، سيتبعون الممر عبر الجبال ، ويقابلون (هنرى) فيما بعد فى الناحية الأخرى .. الأمر أصبح بسيطًا ، وتخيلت نظرة الارتياح فى عينى (ريتشارد) ، عندما تقول له هذه الخطة ، وشعرت بالسعادة ، ونسيت أنها إذا كانت تتظاهر بشىء ، فلابد وأن تعيشه ، وتنسى شخصيتها هى ..

كان يجب عليها أن تكون فتاة نمساوية بسيطة ، ولكنها فى هذا الوقت كانت تستمتع بكونها (فرانسيس مايلز) ، ومشت بطريقتها ، وخطوتها الخفيفة اللينة ، إذا أسرعت لن تتأخر عن (ريتشارد) ، ورآها الرجل الجالس إلى منضدة عند نافذة المطعم ، بالقرب من الأمريكى والانجليزى ..

رأى الفتاة النمساوية تمشى بهذه الطريقة المألوفة ، وانتبه فجأة إلى أن لون شعرها ووجهها مختلف ، ولكن كان هناك شيء مألوف أيضًا فى الوجه وشكل العينين ، ومرّت من أمام المطعم ، وعرف شكل الكتفين والساقين .. لقد رآهما أمس فقط ، وهو يقف بباب المنزل ذى النوافذ الحمراء ، وهى تسير مع زوجها يغادرانه ، ولم يحاول التأكد من ظنه ، حيث كان الإنجليزى والإمريكى يجلسان ، فقد توقفا فجأة عن الكلام ، وساد بينهما صمت متوتر ، ونظر (فان كورتلاند) و(ثورنلى) إلى بعضهما ، وقال (ثورنلى) :

- لقد خرج .. يا إلهى !.. لقد تعرّفها .

- هل أنت متأكد أنه ذلك الرجل .

- (ريتشارد) وصفه لى بالضبط .. الندبات فى وجهه ، والشعر الأشقر ، والسلسلة الذهبية حول معصمه .

قال (فان كورتلاند) فى وجوم :

- إنه يرى الأمر مهمًا ، لدرجة أن يتركنا وحدنا .

وقف (ثورنلى) فجأة ، وقال :

- سأتبعه ، وأتصل بك هاتفيًا فى الفندق ، إذا استطعت معرفة المكان الذى سيأخذها إليه .. سأتصل بك على أية حال .. عليك أن تبقى فى الفندق ، وتنتظر مكالمة (ريتشارد) .. لابد أنه سيتصل بك ، عندما تتأخر (فرانسيس) فى الوصول إليه .

وأسرع بالخروج ، وقام الأمريكى بدفع الحساب وهو مكتئب فعليه فقط أن يذهب إلى الفندق ، وينتظر المكالمات الهاتفية .. حسن جدًا ، ولكنه بالتأكيد شيء ممل .

سار (ثورنلى) وراء الرجل الألمانى الطويل ، وأمامهما الفتاة فى الزى النمساوى ، تمشى على بعد ، لم يحاول الألمانى الإمساك بها ، بل كان يسير على بعد منها ، حتى توصله إلى (ريتشارد) ، وعبر (ثورنلى) إلى الناحية الأخرى من الشارع فى حرص ، ولكن إما أن الألمانى لم يتوقع أن يتبعه أحد ، أو أنه لايهتم بذلك ، فلاشيء الآن يمكن أن يضع حدًا للوصول إلى نهاية هذه المسرحية .. إنه يتحكم فيها الآن ، ولكنه لم يأخذ فى حسابه ذكاء ذلك الإنجليزى الهاوى ..

ورأى (ثورنلى) عدة درّاجات تقف خارج أحد المقاهى ، وفى هدوء ركب إحداها ، وجرى بها وراء (فرانسيس) ، وفى الحال خرج ثلاثة من الشباب من المقهى ، ركبوا دراجاتهم ، وجروا وراءه ، وهم يصرخون ، مما أثار انتباه جميع المارة فى الشارع ، وكذلك (فرانسيس) ، فقد أبطأت من خطواتها ، ثم دخلت فجأة فى شارع جانبى ضيق ، جرى الرجل الألمانى ، وكذلك كانت هناك سيارة سوداء تجاهلت جميع قواعد المرور ، وأسرعت نحوه ، وفوجئ بذلك (ثورنلى) ، ولام نفسه لتصوره أن الألمانى سيكون وحده ، ورأى

الألمانى يصدر تعليماته بسرعة للسائق ، وأسرعت السيارة فى أحد الشوارع التى تؤدى الى مدخل الشارع الجانبى الضيق ، الذى دخلته (فرانسيس) ، وتردَّد (ثورنلى) يفكِّر فى خطوته التالية ، ولحق به الشباب الثلاثة الغاضبون ، الذين يرتدون الزى العسكرى ، فقال :

- آسف جدًا .. كنت سأعيد الدرَّاجة إليكم .. لقد ظننت أننى رأيت فتاة أعرفها ، وأردت اللحاق بها ، ولم يكن لدىّ وقت لأطلب الإذن منكم لاستعارة الدراجة .

ضحك أحد الفتية ، ولكن صاحب الدرَّاجة كان مايزال غاضبًا ، حتى رأى النقود فى يد (ثورنلى) ، الذى قال فى أدب :

- ذلك لأدفع ثمن استعمالى الدراجة .

وسأل الشاب الذى كان يبتسم :

- وأين هى الفتاة الآن ؟

- لقد دخلت فى هذا الشارع الضيق .

- ولكن هذا الشارع له مدخل آخر .. هيا معنا .. هناك وقت للحاق بها إذا أسرعنا .

وجد (ثورنلى) نفسه يسرع بالدراجة ، وحوله الشباب الثلاثة ، وكان الشاب الرومانسى بينهم سعيدًا بما يقوم به ، أما الآخران فقد كانا يريدان التحقق من هذه الرواية ، ووصلوا إلى مدخل الشارع الضيق من الناحية الأخرى ، وكانت السيارة السوداء تقف هناك عند المدخل ، وهى

تستعد للسير ، وكان ظهر السيارة ناحيتهم ، وكان الألمانى الطويل ذو الندبات فى وجهه فى طريقه للجلوس فى المقعد الأمامى ، إلى جانب السائق ، وفى الخلف كان رأس (فرانسيس) يظهر بين اثنين من الأزياء العسكرية ، فاختفى (ثورنلى) وراء الفتيان ، وهم ينزلون من على دراجاتهم ..

لقد توقفوا بمجرد أن رأوا السيارة المرسيدس المكشوفة ، وكانوا ينظرون إليه نظرة غريبة ، وسأله الرومانسى فيهم ، وقد تغيَّرت لهجته تمامًا .

- هل هذه فتاتك؟

هزَّ (ثورنلى) رأسه بالنفى ، وعيناه متعلقتان برقم السيارة ، التى كانت تسرع فى طريقها .. وكانت تبدو عليه خيبة الأمل ، وهو يقول :

- لا ... ولكن من بعد كان قوامها وساقاها مثل فتاتى .

كانت هذه الإجابة مثل النكتة بالنسبة لهم ، وابتسم مرة أخرى الشاب وقال :

- من الأفضل لك أنها لم تكن هى ، فتلك التى فى السيارة ستواجه المصاعب فى (درايكر) ..

قاطعه الشاب الذى أخذ النقود ، قائلًا :

- إنك تتكلم أكثر من اللازم يا (فريتز) .

وتوقَّف الثالث عن الضحك ، وساد الجميع لحظة صمت ، ثم قال (ثورنلى) :

- ماذا لو تناولنا بعض أقداح البيرة معا؟

اعتذروا فى صرامة ، فقد كانت أمامهم اجتماعات بعد ظهر اليوم ، وكذلك هناك استعراض عسكرى ، عليهم أن يرتبوا له ، وأصبحوا جميعا يتكلمون بأهمية عظيمة ، ثم ضربوا كعوبهم فى بعضها ، يحيونه قبل أن ينصرفوا ، ولوّح لهم (ثورنلى) بيده بطريقة مرحة ، وهو يشكرهم مرة أخرى ، وركبوا دراجاتهم ، ولكنه لاحظ أن الفتى الصارم فيهم أخذ يراقبه ، حتى رآه يدخل المقهى الذى اقترحه عليهم ، وظل (ثورنلى) به بضع دقائق ، حتى يتأكد من أنهم تركوا الشارع ، وحتى يكتب رقم السيارة الغريب ، ولينظر فى دليل الهاتف ، ولكنه لم يجد أرقامًا تحت اسم (درايكر) ، وترك المقهى ..

ربما عليه أن يحاول فى مكتب البريد ، سيقول إن لديه خطابًا يريد أن يرسله ..

ولكن لا ..

لقد تذكّر (براغ) ..

إن مكتب البريد قد يكون خطرًا ..

ليس من السهل اقتفاء أثر السيارة ، فذلك سيثير الشك بالتأكيد ، وتذكّر النظرة الغريبة على وجه الشباب الثلاثة ، عندما رأوا السيارة ، وكيف أنهم توقفوا بسرعة على بعد منها ، ولكنه متأكد من أن الشاب ، الذى كان يتكلّم كثيرًا قد عرف (فون آشنهاوزن) ..

لقد كان ذلك واضحا ..

وترك الشارع بأسرع مايمكنه ، واتجه إلى فندق (فان كورتلاند) .. كانت المحلات مزدحمة من حوله ، ورأى مكتبًا للسياحة ، فدخل .. وكان هناك عدد من الناس ، يحجزون التذاكر لرحلات بعد ظهر ذلك اليوم ، وقد وقفت أعداد منهم حول مناضد مختلفة ، كل منها تختص بإحدى الرحلات السياحية ، وبجانب المنضدة المكتوب عليها (برينر) ، كان هناك رجل يقف فى هدوء ، يراقب ويسمع مايدور .. إنها الرحلة الوحيدة القريبة من الحدود ، ولاحظ (ثورنلى) أن هناك جمعًا من الناس حول هذه المنضدة ، وقرّر أن يحاول ..

اقترب من المكتب المكتوب عليه استعلامات ، فى نهاية الحجرة ، والذى كانت تجلس إليه فتاة تقوم بإعطاء رجلين جداول للرحلات ، وتتكلم معهما ، وتقدّم (ثورنلى) بشعره الأشقر ، وسترته المصنوعة من التويد ، وحذائه المطاطى ، مما جعله يبدو متآلفا مع المكان ، وانتظر حتى انتهى الرجلان من الحديث ورحلا ، ثم اختار نفس الرحلة التى كانا يسألان عنها ، وقالت الفتاة وهى تبتسم :

- (كيتزبول)؟ .. إنها رحلة يحبها الجميع هذه الأيام .. ستجد كل البيانات فى هذا الكتيب .

فتحه (ثورنلى) ، ونظر فى صفحاته الملوّنة ، كما فعل الرجلان قبله ، ثم نظر إلى الفتاة بابتسامة ، وقال :

- مدهش .
بدا على وجه الفتاة السرور ، وأضاف :
- والآن هل يمكن أن تدلينى على مكان مكتب البريد .. لقد وصلت لتوى إلى (انزبروك) .
- فى شارع (مكسميليان) .
- هل هو بعيد عن هنا .. لدى موعد قد أتأخر عليه .
- بعيد نوعًا ما .
- إن معى خطابًا أريد إرساله على الفور ، ولكن العنوان ليس معى .. على أننى أذكر أنه يبدأ بكلمة (دراى) .. (درايكر) .
- آه .. (درايكرتشن) .. لقد كانت عندنا من قبل رحلات تذهب إليها ، ولكن الآن لا .
كانت تنظر إليه فى غرابة ، ثم سألت :
- هل تعرف أحدًا هناك؟
قال (ثورنلى) ، وقد انتبه :
- لقد أعطونى هذا العنوان منذ عامين مضيا ، ولكن صديقى سيكون هناك إلى الآن ، فلم أسمع منه أنه رحل .
قالت الفتاة بصوت منخفض :
- هل كان ينتمى إلى الكنيسة؟
قال (ثورنلى) :
- كان مايزال يدرس وقتها .
كان من الواضح أن هذه الإجابة سليمة ، فقد قالت الفتاة :

- لقد تغير المكان الآن .
- ولكن سيقومون بإعادة توجيه الخطاب .. سأرسله اليوم بالبريد .. والآن بالنسبة لرحلة (كيتزبول) . أتنصحيننى بالذهاب اليوم ، أو يوم الاثنين؟
- اليوم سيكون المكان مزدحمًا .
- وهل يقوم الأوتوبيس من أمام هذا المكتب؟
- نعم من الناحية المقابلة من الشارع .. أرجو أن تمضى وقتًا سعيدًا هناك .
كانت الفتاة متعاونة ، ومن النوع الذى يحب أن يرضى عملاءه ، وشكرها (ثورنلى) ، وخرج من المكتب ، وهو مايزال يتصفّح الكتيب الذى أعطته له الفتاة ، وكان الصف أمام منضدة (برينر) مايزال طويلًا ، وذلك الرجل يتصنت على كل طلب ..
وخرج (ثورنلى) إلى الشارع ، وتنفس الصعداء ، ثم وضع الكتيب فى جيبه للذكرى ، وعليه الآن التوجّه إلى فندق (فان كورتلاند) ، وتمنى أن يكون (ريتشارد) قد انتابه القلق فعلا على (فرانسيس) ، وقام بالاتصال بـ(هنرى) .
على الأقل هم يعرفون الآن اسم المكان الذى أخذوها إليه ..
لو أن هذا يفيد .

* * *

٩ ـ الخطـر ..

استيقظ (ريتشارد) فى الحادية عشرة ، وفى الحال شعر بالقلق ، وهو يرى السرير خاليًا ، وأخذ يلوم نفسه لأنه لم يستيقظ مبكرًا ، ليرى (فرانسيس) قبل خروجها ، بل إنه كان من الأفضل أن يذهب هو فى هذه المهمة ..

وفى سرعة قام وحلق ذقنه بالماء البارد ، وارتدى ملابسه ، ونزل إلى أسفل ، وعندما جلس وضعت أمامه (ليزا) قدحًا من القهوة السوداء المرة ، ولكنها ساعدت على أن يصفو ذهنه ، وقالت له المرأة إن (فرانسيس) ستعود فى الثانية عشرة ، وأخذ يقرأ الجريدة الصباحية ، وهو يحتسى القهوة ، ولم يجد ذكرا لحادثه (بيرتيسو) .. إذن فهم يتسترون عليها مؤقتًا .. وربما يحاول (فون آشنهاوزن) جهده الآن ليغير فشله إلى نجاح ، قبل الإعلان عما حدث ، حتى يتلافى الخطورة على نفسه إذا فشل ، وعليه أن يمسك بهما ، وإلا يواجه عواقب وخيمة ، وهذا سيجعل بالتأكيد هروبهما صعبًا ، ثم هناك مسألة كرامته والانتقام ، إنها من خصائص الشعب الألمانى ..

ومضى الوقت ، ومرت الساعة الثانية عشرة بوقت

طويل ، كانت المرأة متعاطفة معه ، ولكنها هادئة ، وقالت : إنه لا داعى للقلق ، فشوارع (انز بروك) صعبة بالنسبة للأجانب ، وأكدت له مرة أخرى أن (فرانسيس) ستحضر ، ولكن الساعة أصبحت الواحدة ظهرًا ، وبدأت المرأة تقلق أيضًا ، وتخاف على (شولتز) ، وعلى نفسها ، ولم يلمها (ريتشارد) ، وسألها :

ـ هل يمكننى استعمال تليفون قريب من هنا ؟

هزت رأسها ، وأشارت له عبر الفناء الخلفى إلى منزل فى الشارع الجانبى ، وعندئذ رنَّ جرس الباب ، ونظرا إلى بعضهما ، وقد اختلط الأمل والخوف فى عيونهما ، واختفى (ريتشارد) وراء باب غرفة المعيشة ، بحيث يمكنه أن يرى من خلال فتحة صغيرة ، ورآها تفتح الباب قليلًا ، وأعطاها شخص ما مظروفًا ، ثم سمع صوتًا مألوفًا يقول :

ـ هل يمكننى رؤية الأستاذ البروفيسير ؟

فوجئ (ريتشارد) .

لا يمكن أن تكون هى .. لا يمكن ..

ولكن الباب كان قد فُتح أكثر ، ولا يوجد شك ..

وصاح :

ـ (آنى) ؟! ..ادخلى .

لم تتوقع المرأة ما حدث ، حتى أن (آنى) دخلت وعلى وجهها ابتسامة عريضة ، قبل أن تتكلم ، وأمسك (ريتشارد) ذراعها ، وشدها داخل الحجرة ، وقال ثانية :

- (آنى) .. كيف بالله جئت إلى هنا ؟

كانت (آنى) مسرورة من دهشته ، مثلما كانت تشعر عندما كانت تفاجئه بفطيرة لذيذة فى (أكسفورد) ، وأخذت المظروف من يد المرأة ، وأعطته إياه بفخر ، وقال فى نفسه :

- لا بد أنها رسالة من (فرانسيس) .. إنها تنتظره فى مكان ما ..

وفتح المظروف متلهفًا ، ولكن كل ما رآه صفحة من الورق ، عليها خريطة بدون كتابة ، وقالت (آنى) ، وهى تشير إلى دائرة صغيرة على الخريطة :

- هذه هى (برينر) .. لقد ظننت أنه من الأفضل عدم كتابة الأسماء على الخريطة ، وبدلا من ذلك تقوم بحفظها عن ظهر قلب ، وذلك هو السبب فى أننى طلبت مقابلتك .

نظر إليها (ريتشارد) بسرعة ، وقال :

- كيف عرفت أننا بحاجة إلى هذه .. كيف عرفت عنوانى هنا ؟

- من سيدتى المحترمة .. ألم تخبرك ؟

- متى رأيتها ؟

- بعد أن خرجت من الكنيسة .

- فى أى وقت كان ذلك ؟

ظهر القلق على (آنى) ، وقالت :

- حوالى الثانية عشرة إلا ربعًا ، فقد وصلت إلى حانوت أخى بعد الثانية عشرة ، وهذا هو الوقت الذى يحضر فيه (جوهان) ليرانى أيام السبت ، فأخى يذهب إلى الجبال كل يوم سبت وأحد ، ذلك لأنه يعمل مرشدًا فى هذين اليومين ، وأقوم أنا بمباشرة الحانوت فى غيابه ، وعندما حضر (جوهان) جعلته يرسم هذه الخريطة ، وأحضرتها لك على الفور .. لقد قالت لى السيدة المحترمة : أن أحضرها فى الليل ، ولكن ذلك لأنها خائفة علىَّ فقط ، ولكننى أحضرتها الآن ، فربما تريد الرحيل فورًا .. كذلك لم أخبر (جوهان) بشىء عنكما ، ووعدته أن أخبره بالسبب فيما بعد .. سيكون فرحًا ؛ لأنه معجب بكما كثيرًا .

جلس (ريتشارد) برهة ، ورأت (آنى) وجهه الشاحب ، وقالت :

- ألم تخبرك سيدتى بكل ذلك ؟ ما الأمر يا سيدى البروفسير .. أليست هنا ؟

قالت المرأة فى وجوم :

ـ لا .. إنها لم تعد بعد .

ـ ولكنها قالت : إن عليها أن تسرع .. لقد قالت : إنك ستقلق عليها لو .. أوه يا سيدى .

تملك (آنى) الجزع ، لدرجة أن (ريتشارد) وقف وأمسك بيدها ..

إذن مخاوفه كانت فى محلها ، فبينما هو ينتظر فى قلق ، حدث شىء ما لـ(فرانسيس) .. لابد أن حدث شىء ما .. لو أمكنه فقط أن يتخلص من ذلك القلق الشديد .. ذلك ليس فى مصلحتهما ، أن يقف هنا ممسكًا يد (آنى) ، ولا يفعل شيئًا .. لابد أن يفكر بسرعة .. لقد مرت ساعة على تأخيرها .. وفى توتر ، قال :

ـ أخبرينى يا (آنى) .. كيف تعرفت مسز (مايلز) ؟

ـ لقد نظرت فى عينيها ، ووجدت أنها تعرفنى ، ثم كانت هناك طريقة سيرها ، وشكل ساقيها لأننى أعرفها جيدًا .

ـ إذن يمكن لشخص آخر يعرفها جيدًا أن ...

لم يستطع أن يكمل كلامه ، وترك (آنى) ومشى نحو النافذة ، ووقف وظهره لهما ، ينظر إلى الحديقة الصغيرة ، وفكر فى (فان كورتلاند) و (ثورنلى) .. لابد

أن يتصل بهما فورًا .. ولابد أن يحتفظ بهدوئه ، ويفكر فى الأمر بموضوعية ، حتى يجد حلًا .. العواطف تعوق ذلك ، والقلق قد يجعله يفقد (فرانسيس) للأبد ..

واستدار لهما ، وقال :

ـ (آنى) .. هل يمكنك أن تعودى إلى الحانوت ، وتنتظرى هناك حتى يحضر إليك شخصان ، أحدهما أمريكى ، والآخر إنجليزى ، لشراء أحذية للتسلق ؟

سمعت (آنى) صوته الهادئ فى دهشة ، ولكن ذلك قلل من خوفها ، فإذا كان الهر بروفيسير يرى بعض الأمل ، إذن هناك حتمًا أمل ..

واستمعت إلى وصفه للرجلين اللذين سيحضران لشراء أحذية التسلق ، وحفظت أسماءهما ، والرسالة التى عليها أن تخبرهما بها .. « (هنجر برج) .. الساعة الرابعة » ..

ولم تتحمس (آنى) لهذه الرسالة ، فإن (هنجر برج) كانت كبيرة ، وقد لا يجد بعضهم البعض ، ولكنها آمنة بالنسبة لهم ، وقد يمر وقت قبل أن يتقابلوا ، وقالت :

ـ من الأفضل أن تقابلهم فى الحانوت بنفسك ، فإن ذلك يوفر الوقت ، وهناك حجرة مخزن فى ظهر الحانوت ، لها مدخلها الخاص ، يمكنك أن تنتظر بها حتى يحضر أصدقاؤك .. إن أخى ليس هناك ، و (جوهان) عليه أن

يذهب إلى الفندق بمجرّد عودتى للحانوت .. لقد تركته ليباشره حتى أعود من هنا ، ولن يكون هناك أحد غيرى بعد ذلك .

وسخرت من أى خطر قد تتعرّض له ، وإذا حدث شيء فإن (ريتشارد) سيكون مجرّد زبون لا تعرفه ، كما أنه هناك المدخل الخلفى ، الذى يقود إلى أفنية وأزقة ، ولو حدث خطر ما ، فإنه هناك إمكانية الهرب ، وشعر (ريتشارد) بأن ذلك الحل هو الأبسط والأسرع ، وقبله مسرورًا ، وخرجت (آنى) من الباب الخلفى ، وقد وضعت الشال الذى أعطته لها (ليزا) على كتفيها ، وانتظر هو دقيقتين أو ثلاثا ، حتى تكون قد مرت من المنزل الآخر ، وهو يأمل فى يأس أن تعود (فرانسيس) فجأة ، وكانت المرأة يبدو عليها القلق بوضوح ، ولكنها برغم ذلك هادئة ومتعاطفة معه ..

إن هر (شولتز) سيعود الآن ، وقد أعدّت له طعام الغداء على المائدة ، ويمكنه أن ينصحهما ، وقدمت له صحنًا من الحساء ، وقد وضعت فيه قطعًا من الزلابية ، لابد أن يأكلها ، ولكن (ريتشارد) رفض فى أدب ، فقد كان القلق يمزّق أحشاءه ، وكانت عيناه على ساعته ..

ثلاث دقائق كافية لـ (آنى) .. وخرج وراءها ، وقالت المرأة وراءه :

- قل : إن (ليزا) أرسلتك .

أتت جملة السر بمفعولها ، وطلب له الحذاء رقم الهاتف ، ثم تركه وحيدًا ليتكلم ، وسمع صوت (فان كورتلاند) ، وشعر بالارتياح ، وقال :

- (فان كورتلاند) ؟

- نعم .. أنا .

وجاءت الكلمات بطلاقة .. قال (فان كورتلاند) :

- نعم مجلة (التايمز) .. آسف لأننى تأخرت فى المقال ، لقد عرفت أنك ستتصل بى لهذا التأخير الذى حدث .

- هل الأمر جاد ؟

كان (فان كورتلاند) يعرف بما حدث ، ووفر على (ريتشارد) شرح الموضوع ، وقال :

- نعم .. الآن .

- حسن هناك مقال آخر ، لابد أن يُكتب .. أوجه الجمال فى جبال (التيرول) .. هل لديك معدات للتسلّق ؟

- ليس أكثر من قدمىّ .

- إذا لم يكن لديك حذاء خاص .. احصل عليه بعد ظهر

اليوم ، فإن هذه مهمة عاجلة .. اذهب إلى محلات بيع الأدوات الرياضية .. هناك حانوت (شميت) أو (شبيجلبرجر) أو (رودى واتشر) .. الأخير حانوت جيد .. ستجده فى شارع (برجراين) ، بالقرب من شارع المتحف .

ـ حسن .. سأذهب هناك على الفور .. أرجو أن أراك قريبًا .

ـ سأراك قريبًا .. أسرع فى كتابة المقال .. لا تتأخر فى هذا .

ـ بالطبع .. اعتمد علىّ .. سلامى وتحياتى لـ (جيوفرى ردسون) .

ـ وقبلاتى لـ (لوسى) .

سمع (ريتشارد) ضحكة ، فى الهاتف ، قبل أن يقطع المكالمة ، وعاد إلى منزل (شولتز) ، ليجده جالسًا فى غرفة المعيشة يأكل ، ولم ير أثرًا لـ (ليزا) ، وأشار له (شولتز) ليجلس فى أحد المقاعد ، ثم أشار إلى صحن الحساء ، ولكن (ريتشارد) صب لنفسه بعض القهوة ، وشربها دفعة واحدة ، وقال :

ـ لابد لى من الرحيل حالًا .. فإن زوجتى ..

ـ أعرف .

ثم مسح (شولتز) شفتيه ، وشرب بعض الماء ، وتابع :

ـ أعرف .. (ليزا) أخبرتنى .. إن أوراقك وملابسك كلها جاهزة .

وأشار إلى مظروف كبير ، ولفافة من الورق الأصفر ، على منضدة قريبة ..

كانت الوثائق تبدو مقنعة ، والصور على ما يرام .

قال (شولتز) :

ـ لقد انتهينا منها بسرعة ، فقد دفعت لى .. أما تزال معك نقود ؟

قال (ريتشارد) :

ـ سألتقى ببعض أصدقائى .

ـ حسن .. حظ سعيد .

قال (ريتشارد) ببطء :

ـ قد يكونون قبضوا على زوجتى ، وقد يعرفون مكان هذا المنزل .

شرب (شولتز) بعض الحساء ، قبل أن يقول :

ـ لا تقلق لهذا .. لقد قررت تغيير عنوانى .. لقد رأيت صديقك (كروستاينر) هذا الصباح ، فى مكان عملى .. لقد وصلته رسالة أمس ، من صديقنا الذى كان فى

(بيرتيسو) ، ونحن الآن سننتقل مرة أخرى .. إن (ليزا) تجمع أشياءنا الآن .

وابتسم وهو يرى نظرة الارتياح على وجه (ريتشارد) ، الذى استعد للرحيل ، وسلم عليه بحرارة ، ثم قال (شولتز) فجأة :

- تشجَع .. الشجاعة هى سلاحنا الحقيقى .. يمكنك أن تنتصر إذا احتفظت بشجاعتك .

هزَّ (ريتشارد) رأسه ، وقال :

- آسف .. إذا كنا السبب فى تغيير خططك .

- إنها دائمًا تتغير ، ولكننا نستمر ، ولا تقلق بشأن (كروستاينر) .. إنه على ما يرام .. لقد تغير شكله منذ زيارته لى هذا الصباح . .

ورجع برأسه إلى الوراء ، وضحك مبتهجًا ، ثم عاد إلى صحن الحساء ، وقال :

- خسارة أن أترك هذه .

قابلت (ليزا) (ريتشارد) عند الباب ، وقالت :

- لقد تركت هذه الأشياء فى حجرة النوم .

ثم أعطته علبة أمواس الحلاقة ، وحقيبة (فرانسيس) ، وشكرها وهى تضمهما إلى اللفافة من

الورق الأصفر ، وقال (شولتز) ، وهو يأكل آخر قطعة من الزلابية :

- بعد خمس دقائق سنرحل وراءك .. إلى اللقاء يا صديقى وتشجَع .

وابتسمت له (ليزا) لأول وآخر مرة ، وأغلق الباب وراءه ، وكانت الساعة قد قاربت الثانية ظهرًا ..

ونبضات قلبه بلغت ذروتها .

* * *

١٠ ـ حلبة المنافسة ..

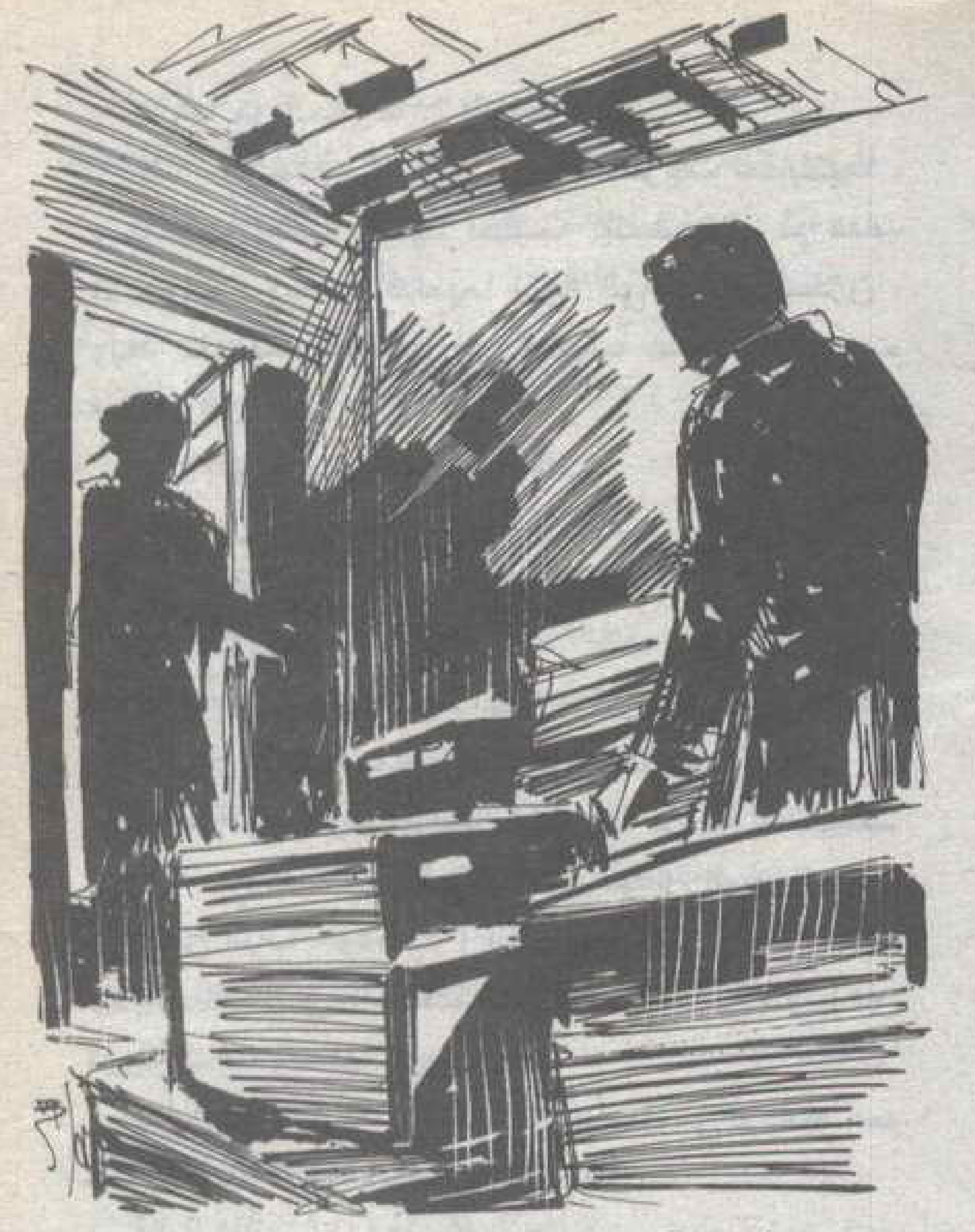
كانت (انز بروك) فى ذلك اليوم ـ السبت ـ تبدو وكأنها بأكملها فى مسيرة عسكرية ..

كانت الاستعراضات العسكرية ، بمصاحبة موسيقى الآلات النحاسية ، تتوالى وراء بعضها ، وقد تجمهر الناس على جانبى الطريق لمشاهدتها ، وحتى بعد مرورها استمروا فى أماكنهم ، فى انتظار الاستعراض التالى ، وسار (ريتشارد) مسرعًا فى الطرق الفرعية الضيقة ، التى هجرها الناس ، حتى وصل إلى حانوت (رودى واشتر) ، وكان المكان صامتًا ساكنًا ، وهو يفتح الباب الخلفى ، ويدخل فى سكون إلى الغرفة الصغيرة ، التى وصفتها له (آنى) ، والتى تستعمل كمخزن ، وأخذ يتحسّس طريقه داخل الغرفة ، وسط صفوف الصناديق ، وجلس على صندوق كبير ، موضوع تحت نافذة عالية صغيرة فى الحجرة ، لا يمكن لأحد أن ينظر من خلالها ، إلا إذا وقف على سلّم ، وجلس ينتظر ، وسمع أصواتًا تصل إليه من الحانوت بالخارج ، وضحكة (آنى) ..

كانت الأصوات بعيدة ، ولا يمكن تفسيرها ، مما أكد أنه هناك حجرة أخرى تفصل بين حجرة المخزن والحانوت الأمامى نفسه ، حيث كانت (آنى) تقوم بخدمة أحد الزبائن ، ولم يره أحد ولم يسمع له صوتًا عندما دخل ، وإذا حدث أن نظر أحد داخل المخزن ، فالصناديق المرصوصة تخفيه عن العيون ..

وبدأ يشعر بالارتياح قليلًا ، ولكن البابين فى جانبى الغرفة كانا يقلقانه ، فقام وتفحّص القفل على الباب الذى دخل منه ، وأغلقه من الداخل ، فذلك أفضل من احتمال دخول أحد عليه من هذه الناحية ، ومن السهولة فتحه والهرب إلى الشارع الضيق ، إذا حدثت أية مشاكل ، وكان الباب الآخر هو الذى يؤدى إلى الحجرة التى تفصل بين هذه وبين الحانوت ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا حياله ، حتى تظهر (آنى) ..

لقد سكتت الأصوات الآن ، ولابد أن الزبون قد خرج ، ثم سمع صوت جرس ، وعرف أنه ذلك الجرس المركّب على الباب الخارجى ، وقد تحرك مع الباب وهو يُغلق وراء الزبون ، ولابد أن (آنى) قد أحضرت هذا الجرس معها من (انجلترا) ، هدية منها لأخيها ، وابتسم لسماعه هذا الرنين المألوف ، فى حوانيت شوارع (أكسفورد) ، هنا



وسمع وقع أقدام (آني) تقترب، وفتح الباب في الحجرة المتوسطة، ووقفت (آني) تنظر في الضوء الخافت..

في (انز بروك) ، الذي يرن عندما تفتح أو تغلق الباب ، وسمع وقع أقدام (آني) تقترب ، وفتح الباب في الحجرة المتوسطة ، ووقفت (آني) تنظر في الضوء الخافت ، وخرج من وراء الصناديق ، فقالت :

ـ الحمد لله .

ـ هل شعرت بدخولي ؟

ـ لا .. لقد كنت أحضر إلى هنا كل فترة ، بعد خروج الزبائن ؛ لأرى ما إذا كنت قد حضرت .. هل أغلقت الباب الآخر ؟ حسن جدًا .. سأغلق هذا الباب أيضًا .. أن الغرفة التي في الوسط هي غرفة قياس الملابس .. إذا دخل فيها أحد التزم الهدوء ، وإذا سمعت صوتًا عاليًا ، يريد فتح الباب ، ويهزّه ، ويطلب مني المفتاح بغضب .. عندئذ ارحل على الفور .

وسمع صليل الجرس ، وقالت (آني) في همس :

ـ إن هذا الجرس مفيد جدًا .

واستدارت تريد الخروج ، ولكن (ريتشارد) أمسك ذراعها ، عندما سمع صوتًا مرحا ينادي في صوت عال ، من مقدمة الحانوت :

ـ ألا يوجد أحد هنا ؟

كان صوت (ثورنلي) ، ثم سمع صوت (فان كورتلاند) يقول بالإنجليزية :

ـ هذا هو الحانوت .. فلننتظر قليلًا .
أشار (ريتشارد) إلى (آنى) ، فخرجت لمقابلتهما ، وسمعهما يطلبان منها أحذيـة للتسلّـق ، ثم هدأت الأصوات ، وسمع أقدامهما تتجه إلى حجرة المخزن ، وبعد دخولهما أغلقت (آنى) الباب عليهم ، وتركتهم معًا ، وقال (فان كورتلاند) :
ـ يا إلهى كم أنا سعيد برؤيتك .
وتساءل (ريتشارد) :
ـ (فرانسيس) ؟ .. ماذا أصابها ؟
قال (ثورنلى) :
ـ لقد أمسكوا بها لسوء الحظ .. كان ذلك الوغد الأشقر ذو السوار فى معصمه ، هو الذى رآها ، وعرفها .. لقد أخذوها إلى (درايكـرتشن) .. هذا كل ما استطـعت معرفته .. وكذلك رقم السيارة المرسيدس السوداء .
وفتح الباب ، ودخلت (آنى) ، وعلى ذراعها بعض ملابس التسلّـق ، وأعطتهـا لـ (ثورنلـى) و (فان كورتلاند) ، وسألها (ريتشارد) :
ـ أين (درا يكرتشن) يا (آنى) ؟ هل هى قرية أو اسم لمنزل شهير ؟ هل سمعت بها من قبل ؟
قالت (آنى) لـ (فان كورتلاند) :

ـ إذا رنّ جرس الباب ، ادخل إلى حجرة القياس ، لقياس هذه الملابس أمام المرآة ، وأغلق هذا الباب جيدًا وراءك ، وضع المفتاح على ذلك الرف العالى هناك .
ثم قالت لـ (ريتشارد) :
ـ الآن نحن فى أمـان ، أمـا بالنسبـة لذلك المكـان (درايكرتشن) ، فلا يوجد غير واحد فقط بهذا الاسم ، قريب من هنا ، على بعد ساعتين .. إلى الجنوب من (انز بروك) ، إذا تبعت طريق (برينـر) ، ستتصل إلـى جزيرة (برج) و (درايكرتشن) على يمينها .. سأحدد لك المكان على الخريطة ..
كان (ريتشارد) قد فتح دليله الجغرافى وهى تتكلّم ، وأشارت (آنى) بأصبعها ، قائلة :
ـ هذا هو الطريق الذى يأخذك إلى (درايكرتشن) .. هذه هى .. مجموعة المربعات السوداء .
ـ إنها قرية .. لماذا لم يُكتب اسمها ؟
ـ إنها ليست قرية .. إنها بعض البيوت القليلة ودير ، وثلاث كنائس فقط ، حيث كان يعيش بعض الرهبان .
ـ ومن الذى يعيش هناك الآن ؟
بدا على (آنى) الحرج .. لم تكن متأكدة .. لقد سمعت إخوتها يتكلمون ، ولكنهم لم يفسروا لها .. لقد أرسل أحد

أصدقائهم إلى ذلك المكان ..

وسأل (فان كورتلاند) :

- هل هى معسكر للاعتقال ؟

نفت (آنى) ذلك بشدة :

- غير معقول .. إنهم يرسلون الصبية إلى ذلك المكان ، ليتعلموا فيه .. الصبية والشباب المختار .. بالطبع هناك شائعات كثيرة ، ولكن لم يؤكدها أحد بالبحث فيها ، فإن ذلك شىء خطر .

وسألها (فان كورتلاند) مرة أخرى :

- هل لذلك المكان أية علاقة بالجستابو ؟

ظهر الخوف على وجه (آنى) .. لقد كانت هناك شائعات ، وقد حدث أن قال ذلك (جوهان) ، وهو يمزح أمام أحد أشقائها ، وتشاجر معه ..

شكرها (ريتشارد) ، فقد كان ذلك هو كل ما تعرفه ، أو تريد معرفته ، وفى طريقها إلى الخروج أوقفها (ثورنلى) ، وهو يطلعها على ورقة ، صغيرة فى يده ، وقال :

- إذا رأيت سيارة سوداء كبيرة ، عليها هذه الأرقام ، ماذا يكون رأيك ؟

قالت (آنى) :

- سيارة خاصة ؟!

- أهو البوليس السرى ؟

هزت رأسها بالإيجاب ، ثم خرجت إلى الحانوت ، وقال (فان كورتلاند) :

- علينا أن نتحرك بسرعة ، فليس أمامنا ربما غير عشر دقائق ، قبل أن يستطيعوا الوصول إلى مكاننا ، فمن المؤكد أنهم استمعوا إلى مكالمتنا اليوم ، وسيبحثون عنا فى حوانيت الرياضة .. هيا بنا .

قال (ريتشارد) :

- شكرًا لكما .. لولاكما لما كان هناك أمل .

وقال (فان كورتلاند) ، وهو يوجه كلامه إلى (ثورنلى) :

- تصوَّر أنه كان يظن أنه سيتخلَّص منا فى هذه المرحلة .. الأمر يحتاج الآن لجهودنا نحن الثلاثة لنجد (فرانسيس) .

قال (ثورنلى) فى هدوء :

- سنجدها .

لم يضيع (ريتشارد) وقتًا ، ونشر الخريطة أمامهما ، وقال :

- سنتقابل هنا .

وأشار إلى مكان التقاء الطريق بجزيرة (برج) . وأضاف :

- أحضرا سيارة ، وضعا فيها جميع متعلقاتكما ، وكذلك هذه اللفة .. إن بها ملابسنا التى سنرتديها فى (إيطاليا) .

قال (فان كورتلاند) :

- لقد اتفقت فعلًا مع صديقى من الإذاعة ، على أن يبادل سيارته بسيارتى ، إنه ذاهب إلى (فيينا) بعد ظهر اليوم ، وهو موثوق به ، ولن يتكلم ، كما أخبرت الفندق بأننى أعتزم الرحيل ، والعودة إلى (بيرتيسو) ؛ لمقابلة أصدقاء لى هناك .

قال (ريتشارد) ، وهو يشعر بالامتنان :

- حسن .. نتقابل بعد الساعة الرابعة ، حتى يمكننى الوصول إلى ذلك المكان .. وأحضر معك بعض الشيكولاتة والسجائر .

قال (فان كورتلاند) :

- إلى الرابعة والنصف إذن .

وتصافحوا بحرارة ، قبل أن يعودا إلى الحانوت .

وانتظر (ريتشارد) حضور (آنى) ، وقالت وهى تدخل إلى المخزن فى همس :

- إلى اللقاء يا سيِّدى البروفيسير .. أرجوك أن تتصل بى ، وتخبرنى عندما تجد السيِّدة .. أرجوك .

قال (ريتشارد) :

- نعم يا (آنى) .. سأفعل .

ماذا يمكنه أن يقول ليشكرها ..

وشعرت (آنى) بذلك ، وقالت :

- إننى أرد بعض ما فعلتموه معى فى (أكسفورد) .. والآن أسرع يا سيِّدى .

قال (ريتشارد) ، وهو يصافحها بحرارة :

- إلى اللقاء يا (آنى) .

- إلى اللقاء .

وخرج بسرعة ، وسار حتى وصل إلى الشارع الكبير المزدحم بالناس ، ورأى (فان كورتلاند) و (ثورنلى) وقد غادرا الحانوت ، وهما يحملان بعض اللفائف من المشتريات ، ووقف حتى اختفيا عن نظره ، وشعر فجأة بالجوع الشديد ، ولكن النقود التى معه لا تكفى إلا للوصول إلى جزيرة (برج) بالترام ، وشعر بالأمان بين زحام الناس حوله فى الشوارع ، ذلك أن (فون آشنهاوزن) هو الوحيد الذى يستطيع أن يتعرفه فى (انزبروك) .

و (فون أشنهاوزن) الآن معه (فرانسيس) ، يلعب لعبة هامة بالنسبة له ، وذلك هو السبب فى أنه أخذها إلى (درايكرتشن) ، ولم يقبض عليها رسميًا ، حتى يستخلص منها المعلومات التى تمكنه من التغلب على فشله ، فى القبض على (سميث) .. إن (فرانسيس) تعرف كل ما يريد .. وسيحاول الحصول عليه .. وبأية وسيلة .

★ ★ ★

١١ ـ الاقتراب من (درايكرتشن) ..

انطلق (فان كورتلاند) و (ثورنلى) مسرعين ، وسط زحام الجماهير ، وتوقفا مرتين .. مرة لشراء بعض البسكوت والشيكولاتة ، والثانية لشراء البرتقال ، وذهبا إلى الفندق لأخذ أمتعتهما ، وقاما بإجراء مكالمتين هاتفيتين إحداهما لصديق (فان كورتلاند) من الاذاعة ، لتحديد المكان والموعد الذى سيتقابلان فيه لتبادل سيارتيهما ، والثانية لوكالة (كوك) للسياحة ، لشحن الأمتعة الثقيلة إلى (جنيف) بـ (سويسرا) ، ثم قال (ثورنلى) فجأة ، وقد تغير وجهه :

ـ لقد تسلمت خطابًا هذا الصباح ..

نظر إليه (فان كورتلاند) ، وقد لاحظ نبرة صوته ، فأضاف :

ـ سأخبرك بما فيه فيما بعد .. إنه من صديقى (تونى) ، يقول : إنه فى طريقه إلى (انجلترا) .

- والفتاة ؟
هزّ (ثورنلى) رأسه ، وقال :
- لا .. وحده .
- هل الأمر سيئ ؟
- نعم .
ولم يزيدا فى هذا الموضوع ، واتجها إلى (الجراج) ، الذى ترك فيه (هنرى) السيارة ، وجاء أحد الصبية بعد قليل ، يحمل حقيبتين ، وضعهما فى السيارة ، وانطلقا ، وقال (فان كورتلاند) وهو يبتسم :
- هذه الطريقة أثبتت نجاحها ، فقد تأكدت أنه لا يتبعنا أحد ، فبعد أن دفعت الحساب قلت : إننى سأغادر الفندق إلى (بيرتيسو) ، فى حوالى الخامسة ، ونظاهرت بالصعود إلى الحجرة مرة ثانية ، ولكننى فى الحقيقة لحقت بك من السلم الآخر ، وانضممنا إلى الجموع فى الشارع ، التى تنتظر مشاهدة الاستعراضات .. إن المدينة بأكملها فى الشوارع ، بسبب هذه المسيرات ، التى لا أعرف لها سببًا .
قال (ثورنلى) :
- إنها تصيبنى بالاكتئاب ، ولا يستطيع أحد أن يفعل شيئًا حيال هذا الحماس العسكرى السائد ، لا بالنقاش

ولا بالأعمال الصالحة .
ثم سكت ، وأخذ يراقب (فان كورتلاند) وهو يقود السيارة ..
كان توقيته سليمًا تمامًا ، فإذا كان هناك من يتبع السيارة ، فالمرور وزحامه القادم من الشوارع الفرعية سيجعله يفقدها ..
ووصلا إلى مكان مقابلتهم مع صديق (فان كورتلاند) ، وتم كل شىء بسرعة مذهلة فى لحظات ، ووجد (ثورنلى) نفسه يجلس فى سيارة زرقاء قاتمة اللون ، بعد أن تبادلا الحقائب ، وانطلق الرجل الآخر الأمريكى النحيل بسيارة (فان كورتلاند) الزاهية اللون ، ووقف (فان كورتلاند) يراقبه ، حتى اختفى عن الأنظار ، قبل أن ينطلق هو أيضًا فى الطريق المضاد ، وقال (فان كورتلاند) :
- إنه شخص لا بأس به .. إننا مجرّد اثنين من الأمريكيين ، تبادلا سيارتيهما ، وهو لا يعرف شيئًا عن أى شىء ، كما أنه قد ربح فى عملية التبادل هذه .
ودارت السيارة حول (انز بروك) إلى الغرب ، متجنبة بذلك الطريق الرئيسية ، التى ما تزال مزدحمة ، وقابلا فى

طريقهما عدة تشكيلات من الشباب ، المرتدى للزى العسكرى ، يمشون وكأنهم جميعًا على موعد فى مكان ما ، وفى الطريق المؤدى إلى جزيرة (برج) ، والذى كان يقود أيضًا إلى ممر (برينر) ، كما قال (كورتلاند) ، ومرت بهما ثلاث سيارات كبيرة سوداء ، تجرى بسرعة وراء بعضها ، وكانت جميعها تمتلئ عن آخرها بالجنود الجالسين منتصبى القامة ، ووجوههم البيضاء لا ملامح لها ، تحت غطاء الرأس العسكرى ، وصاح (ثورنلى) فى انفعال شديد :

- إحدى هذه السيارات .. نعم .. إنها واحدة منها .

قال (فان كورتلاند) ، وهو يبتسم لتلعثم زميله :

- ما الأمر ؟

- واحدة من هذه السيارات ، هى نفسها السيارة التى رأيتها بعد ظهر اليوم ، و (فرانسيس) جالسة فيها ، ألا تفهم يا (هنرى) .. إنهم إذا كانوا قد غادروا (درايكرتشن) ، سيكون الأمر أسهل بالنسبة لنا .

فكر (فان كورتلاند) قليلًا فى ذلك ..

- قد يكون (بوب) على حق فيما يقول ..

- الحظ يلعب دورًا هامًا فى كل شىء ، ومهما كانت الطريقة التى تعد بها خطتك ، فلابد أن تترك مجالًا قليلًا للحظ ..

وقال (كورتلاند) ، وهو يبطئ من سرعة السيارة :

- لقد اقتربنا .

لقد قال (ريتشارد) : إنه سينتظر عند المحطة ، فأخذا يبحثان عنه ، ويراقبان الطرق التى تؤدى إلى الغابات ، وعندما دارا مع الطريق ، وابتعدا قليلًا عن المحطة ، ثم توقفت السيارة تمامًا ، ونزل (ثورنلى) منها ، خرج (ريتشارد) من وراء بعض الأشجار ، وقال (فان كورتلاند) بصوت حاد من القلق :

- لقد بدأت أعتقد أننا لن نجدك .

ثم انطلق مرة أخرى ، و (ريتشارد) يقول :

- آسف .. لقد نسيت أن أسألك عن لون السيارة ، ولم أرد المخاطرة .. آسف .. كيف سارت الأمور ؟

- طبقًا للخطة .

- حسن .. أمامنا الآن حوالى خمس دقائق فى هذا الطريق ، ثم عشر دقائق فى الطريق الذى ندخل فيه إلى اليمين ، فقد قمت بدراسة الخريطة وأنا أنتظر ، ثم بعد ذلك هناك طريق ضيق ، أو ممر يقودنا إلى (درايكرتشن) من الخلف .. ذلك أسلم من المخاطرة بالسير فى الطريق المباشر إليها ، قبل حلول الظلام ، كما

أننا لا نستطيع انتظار الظلام .. لا يوجد أمامنا وقت .

نظر (ثورنلى) إلى وجه (ريتشارد) الأبيض الصارم ، وكان يبدو منهكًا ، فقال :

- هل أكلت ؟

هزّ (ريتشارد) رأسه ، ثم أخذ قطعة الشيكولاتة ، التى أعطاه إياها (ثورنلى) وأكلها ، وعيناه على ساعته ..

لم يكن يعرف أو يهتم بما يأكله ، وكان يبدو على وشك الانهيار ، وبدأ (ثورنلى) يدرك صعوبة الوقت الذى مرّ عليه ، وهو ينتظرهما .. كان لابد ألا يتركاه وحده .

وقال (ريتشارد) :

- هذا هو الممر الضيق .

ودخلت السيارة فيه ، تاركة طريق (بريتر) ، كان (ريتشارد) ما زال ينظر فى ساعته ، ورفع يده ليسكت (ثورنلى) ، وقد كان على وشك الكلام ، ثم أدرك (ثورنلى) أنه كان يقوم بتوقيت المسافة التى عليهم السير فيها ، ثم قال :

- الآن .

وترك (فان كورتلاند) الممر ، ودخل فجأة فى الغابة ، وقاد السيارة بحرص ، حتى وقف بها فوق الحشائش ، وهى مختفية عن الممر وراء بعض الشجيرات ، وقد أدار

مقدمتها نحو طريق (برينر) ، ثم سأل (فان كورتلاند) :

- هل لدى أحد منكم مسدّس ؟

هزّ (ثورنلى) و (ريتشارد) رأسيهما نفيًا ، ثم أخرج (ثورنلى) مطواة كبيرة وبطارية ، وابتسم (فان كورتلاند) ، وقال :

- أما أنا فمعى مسدّس .. سينفع إذا واجهتنا مشكلة .

وربّت على جيبه ، ثم غادورا السيارة ، وأغلقها (فان كورتلاند) ، ونظر الرجال الثلاثة بعضهم إلى البعض ، لحظات ، ثم قاد (ريتشارد) الطريق ، أعلى التل الذى تغطيه الشجيرات ، وتسلقوا التل الصغير ، حتى وصلوا إلى القمة ، تخفيهم أشجار الصنوبر ، ومن أعلى المنحدر استطاعوا رؤية قباب الكنائس الثلاث العالية فى (درايكرتشن) ، أخرج (ثورنلى) مطواته ، وأشار لهما أن ينتظرا ، واختفى فى ناحية الطريق الذى صعدا منه ، وهو يعلم الأشجار التى يقابلها ، بقطع أحد أغصانها ، وكانت فكرة جيدة ، فقد كان مكان القطع أبيض وخشنًا ، وعندما عاد إليهما (ثورنلى) كان مسرورًا ؛ فقد استطاع أن يعرف طريق العودة إليهما بسرعة مدهشة ، وكذلك فعل وهو يتبع (ريتشارد) خلال الأشجار ، فأخذ يعلم بسكينه الأشجار ، حتى لا يضلوا طريق العودة إلى

السيارة ، وساروا ببطء وخفة ، دون أدنى صوت ، حتى وصلوا إلى حافة الغابة ، وكان ما يفصلهم الآن عن (درايكرتشن) هو الحافة ذات الانحدار الشديد ، وحديقة ممتدة أمامهم ، ورقدوا يراقبون الموقع فى انتظار غروب الشمس ..

كان القساوسة هم الذين بنوا تلك القلعة الصغيرة ، والكنيسة الملحقة بها ، وكذلك كنيستين صغيرتين ، على بعد قليل من جانبى المبنى الرئيسى ، وحول كل ذلك بعض الأكواخ ، مما أعطى المنطقة شكل الهلال ، الذى يحفه تجويف مستدير فى التل على بعد ، ومن ناحية الجنوب كانوا يرون الطريق الرئيسى ، الذى يصل إلى وسط الهلال ، والذى أضيف للموقع فيما بعد الاستيلاء عليه من القساوسة ، وأمامهم مباشرة كانت هناك حديقة للمطبخ ، خلف الكنيسة الصغيرة اليمنى ، مزروعة بأنواع مختلفة من الخضراوات ، تحيطها من ناحية التل شجيرات قصيرة من العنب الأحمر ، ومن الناحية الأخرى سور من أشجار الفاكهة ، يفصل بينها وبين حديقة الكنيسة الكبيرة المزروعة بالزهور الجميلة ، وحتى يحجب منظر الخضراوات عن الناظرين .

وهمس (ريتشارد) :

- علموا هذا المكان .

ثم تقدموا بحرص تحت ستار الأشجار ، نحو ظهر القلعة ، ولم يكن هناك أثر لحياة أو حركة أو صوت ، فيما عدا دخان يتصاعد من مدخنة هناك ، ثم قال (ثورنلى) فى همس :

- انتظر هنا ، حتى أستكشف المكان .

وأخرج مفكرته من جيبه ، ورسما رسمًا بسيطًا للمبانى والحدائق أمامه ، وقال (ريتشارد) ، وهو يذكر كيف قام (ثورنلى) بتسلق النافذة فى (بيرتيسو) :

- حسن .. سنراقب المكان من هنا .

أخذ (ثورنلى) يشرح الطريق الذى سيتبعه على الرسم .. سينزل عبر شجيرات العنب إلى حديقة الخضراوات ، ثم يسير فى الممر الذى يقود إلى ناحية أشجار الفاكهة المقابلة ، حتى يصل إلى الجانب الأيمن للقلعة من الخلف ، حيث يتصاعد الدخان ، وعندئذ يمكنه أن يعرف إذا كان هناك من يشغل ذلك الجزء من المبنى ، وإذا كان هناك مدخل خلفى للقلعة ..

وانطلق (ثورنلى) فى طريقه ، و (فان كورتلاند) يتحسر على عدم وجود أسلحة كافية معهم ، لمواجهة تلك

القلعة المسلّحة ، ولكن قد يكون المكان خاليًا ، ولا داعى للحرص الشديد وإضاعة الوقت ..

قد لا يوجد غير طباخ فى المطبخ ، الذى يتصاعد منه الدخان ، و (فرانسيش) محبوسة فى إحدى الغرف ، وعليها حارس واحد ، فى حين يستمتع الآخرون بوقتهم فى (انز بروك) ، أو يبحثون عن (ريتشارد) هناك ، ثم خطر له خاطر جعله يقطب جبينه فى وجوم ، وهو أن (فرانسيس) ليست هنا على الإطلاق ، وعندئذ يضيع كل أمل فى إنقاذها ، وكان ذلك الخاطر يسيطر أيضًا على تفكير (ريتشارد) ، الذى أخذ يعد الأشجار حوله ، محاولًا إبعاده عن تفكيره بأى شكل ..

وما من فائدة .



١٢ ـ الجنــازة ..

شعر (ثورنلى) بالحماس والإثارة يتملكانه ، وهو يتقدم نحو الكنيسة الصغيرة ، والأكواخ الصغيرة إلى جانبها ، وتحرَّك بسرعة وثقة ، وهو يعرف أنه فى ظلال هذه الشجيرات لا يستطيع أحد رؤيته إلّا من الخلف ، وفى هذه الحالة فإنه سيراه حتى لو كان يتقدّم بحرص وبطء ، ولم يكن هناك وقت ، ولا يمكن انتظار حلول الظلام ؛ لأن القلعة قد تعود إليها الحياة فجأة ، وتوقّف وقد أرهف السمع ، ولكن السكون كان يسود المكان ، كما أن أبواب ونوافذ الأكواخ كانت مغلقة ، ومع حرارة الجو لابد أنها خالية ، ودخل إلى حديقة الخضراوات ، وفى خفة القط عبر إلى ممر الشجيرات ، الذى يقود إلى الناحية الأخرى ، وكان الممر يدور حتى يصل إلى القلعة نفسها ، إلى باب جانبى صغير بها ، يبدو أنه باب مطبخ ، وتوقّف لحظات يلتقط أنفاسه ، فلم يكن يتوقع وجود ذلك الباب ، وغاص بجسده داخل شجيرات الممر ، وعندما وصل بالقرب من حائط القلعة ، سمع فجأة أصوات رجلين يتحدثان ..



وسار (ريتشارد) بسرعة نحو التليفون، ورفع السماعة، و (فرانسيس) و (فان كورتلاند) ينظران إليه..

كان متأكدًا من أنهما اثنان فقط ، وانحنى إلى أسفل فى الطين ، وهو يزيح بحرص شديد الأغصان أمامه ، لينظر من بينها ، وكان الرجلان يمشيان أمام القلعة ، ويتكلمان وهما يدوران حولها .. فى أى لحظة الآن سيظهران أمامه ، عند ركن المبنى ، وسمع ضحكاتهما بوضوح ، فقد كان وقع أقدامهما وأحذيتهما الثقيلة يقترب من ركن القلعة ، كان أحدهما ما زال يضحك ، كما لو كان قد سمع نهاية قصة مضحكة ، وتوقفا قليلًا عند نهاية الممر ، الذى يمشيان عليه فى ركن المبنى ، ثم استدارا عائدين نحو واجهة القلعة ، واختفيا عن عينيه ، وتعجَّب (ثورنلى) من أنهما لم يسمعا دقات قلبه العالية ..

على كل حال لقد تبيَّن أنه هناك اثنان منهم أمام القلعة ، كما أنهما لم يكونا يقومان بالحراسة ، فقد كانت هيئتهما وكلامهما لا تدل على ذلك ، ولكنهما مسلحان ، فقد رأى المسدسات معلقة فى أحزمتهما ، ويبدو أنهما لا يتوقعان أى هجوم على القلعة ، فهى أحد معاقلهم القوية ، وبمجرد أن يأخذوا سجناءهم من بيوتهم ، فالخوف الذى يثيره وجودهم فى ذلك المكان يشل حركة كل من له صلة بهم ، ولم يكن أحد يجرؤ على مجرَّد السؤال عمن أخذوه سجينًا ، فلماذا إذن القلق على شخص أجنبى ، اختفى بهذه الطريقة ؟؟

ابتسم (ثورنلى) فى سخرية ، وهو يعود مرة أخرى من حيث أتى ، ولكن عندما وصل إلى نهاية الشجيرات ، تساءل فى نفسه : هل يعود ، أو يحاول أن يرى من يوجد فى ذلك المطبخ ، حيث يتصاعد الدخان بشدة ؟!..

هل يغامر ، ويحاول الوصول إلى الباب .. إن الرجلين لابد أنهما وصلا فى سيرهما إلى نهاية الممر ، من الناحية الأخرى ، وربما يعودان مرة أخرى .. لابد أن يتحرك الآن ، ثم فتح الباب فجأة ، ودخل (ثورنلى) فى الحال وسط الشجيرات ، وسمع صوتًا حادًا يقول فى غضب شديد ، لرجل خرج مَن الباب إلى الممر :

ـ لا تضيع الوقت .. لقد سئمت وجودك هنا .. الجميع يقومون بعملهم ، وأنت لا تعمل شيئًا غير الأكل .. هيا اذهب بسرعة .

توقف الشاب ، الذى خرج وهو يملأ فمه بقطعة كبيرة من الكعك ، وقال :

ـ لا تتكلم معى .. إذا كنت قد تأخَرت فى إعداد الطعام ، فهى مسئوليتك ..

ثم سار وهو يقول لنفسه : إنه لا يكف عن طلب هذا وذاك منى .. (هيرمان) افعل هذا .. (هيرمان) اذهب وأحضر ذلك .. كما لو كان ليس لدى عمل آخر أقوم به ..

كما لو كنت مجرَد ..

ولكنه لم يكمل كلامه ، فقد انكفأ فجأة على وجهه ، ووضع (ثورنلى) البطارية الكبيرة مرة أخرى فى جيبه ، وجرَ الرجل من قدميه إلى داخل الشجيرات ليخفيه عن العيون ، وهو يقول فى نفسه :

ـ خسارة لو كان قد كسر البطارية .

ثم أخذ قطعة كبيرة من الحجر ، وضرب رأس الرجل بها مرتين ، للتأكد من أنه لن ينطق ، ثم أخرج منديله ، وكمَم فمه ، واستعمل حزام الرجل ورباط عنقه ؛ ليقيَد يديه ورجليه ..

المكان الوحيد الذى يمكن لأحد أن يرى منه هجومه على الرجل ، هو من الغابة ، وتمنى لو أن (ريتشارد) و (فان كورتلاند) رأيا ذلك .

وفعلًا .. كانا قد شاهدا كل شىء ، وهما قابعان فى مكانهما ، فى انتظار خطوته التالية ، وأخذ (ثورنلى) ينتظر عودة الجنديين .

لابد أنهما سيصلان إلى هذا الركن الآن .

ما الذى يؤخرهما ..

أو هل تصوَر أن الدقائق قد مرَت بسرعة لقلقه الشديد ؟.

ثم سمع وقع خطواتهما ، وهى تتوقف وتدور مرة أخرى مبتعدة ، ونظر إلى الرجل الملقى إلى جواره .. إنه لن يفيق إلا بعد وقت طويل .. طويل جدًا ..

وخرج إلى الممر ، ولوّح بذراعه .. لقد رأوه ووقف يراقب وهما ينزلان من مكانهما للحاق به ..

إذا أسرعا سيتمكنان من ذلك ، قبل عودة الجنديين ..

كانا يتحركان بسرعة وفى سكون ، ولقد وصلا إلى نهاية الشجر ، ومثله وجدا الباب فى نهاية الممر ، وابتعدا عنه أيضًا مثلما فعل ، وتقدما من طريق الشجيرات ، وعندما وصلا إليه وجداه يفحص مسدس الرجل ، ثم وضعه فى جيبه ، وهمس (ثورنلى) :

- هناك جنديان فى مقدمة القلعة ، وطباخ متعب فى المطبخ ، وهذا .

وأشار إليه بقدمه ..

وقال (ريتشارد) هامسا :

- نعتنى بالطباخ الآن .

هز (ثورنلى) رأسه ، وقال :

- سيعود الجنديان فى أية لحظة الآن .

وأشار لهما ليتبعاه ، وقادهما إلى حيث كان يراقب الجنديين من قبل ، واختبنوا دون حراك ، فقد سمعوا

الأصوات تقترب ، وهم ينظرون خلسة من بين الأغصان ، ونظر إلى ساعته ليقوم بتوقيت حركتهما ، وفجأة انتبهوا ينظر بعضهم إلى البعض ؛ فقد سمعوا صوتًا عاليًا يتكلم ، ثم صوت وقع الأحذية الألمانية الثقيلة ، وهى تجرى ..

كان الصوت يصدر تعليمات ، وكان فى إمكانهم سماعه ، ولكن لم يتبينوا الكلمات ، ونظر (فان كورتلاند) متسائلا إلى (ريتشارد) ، الذى هز رأسه .. لا لم يكن هذا الصوت صوت (فون آشنهاوزن) ..

إذن هناك أيضًا شخص آخر ..

وانتظروا مشدودى الأعصاب ، وتلا صوت الأقدام الجارية على الأرض الحجرية ضوضاء دراجات بخارية وهى تعمل ، ثم تنطلق بسرعة ، وقال (فان كورتلاند) :

- اثنان على ما أعتقد .

ثم خرجوا من بين الشجيرات ، ورأوا الطريق الرئيسى إلى مدخل القلعة ، وكانت الدراجتان البخاريتان قد مرتا فعلًا من البوابة ، وهما تنهبان الأرض ، منطلقتين بعيدًا عن القلعة ، وقال (فان كورتلاند) :

- أنا لا يعجبنى ما يحدث .. إنه مجرد شعور ، ولكن أعتقد أنه علينا أن نتصرف بسرعة .

ساعدهم قرب حلول الظلام ، فتسللوا الواحد

تلو الآخر ، نحو حائط القلعة ، ومشوا فى ظلاله نحو باب المطبخ ، وسمعوا صوت حركة داخله وأخرج (ثورنلى) المسدس من جيبه ، وأمسك به من ماسورته ، وفتح باب المطبخ ، وخرج منه ضوء غمر الممر أمامه ، ورأوا طرف مريلة الطباخ وهو يقول :

ـ لقد سمعتك .. تعال الآن .. أين وجدت البقدونس ؟.. وسط شجيرات العنب ؟

وخرج من الباب ، وهو يحدق أمامه فى الظلام فى الحديقة ، ثم نادى :

ـ (هيرمان) .. يا إلهى .. هل على أن أفعل كل شىء بنفسى ؟

وارتفع صوته حادًا وهو ينادى :

ـ (هيرمان) .

ثم سقط إلى الأمام ، وقد نزلت على رأسه مؤخرة المسدس بشدة ..

كان رجلا ثقيلا ، وتعاون الثلاثة فى حمله إلى المطبخ ، وأغلق (ثورنلى) الباب بالمفتاح ، ثم وقف يحرس المدخل الآخر الوحيد له ، وهو باب يؤدى إلى دهليز ، فى حين ساعد (فان كورتلاند) (ريتشارد) على تكميم الرجل وتقييد يديه وقدميه ، ثم ألقوه فى المخزن الملحق

بالمطبخ ، وأغلقوا عليه بابه السميك ، ووضع (ريتشارد) المفتاح فى جيبه ، وأشار لهما ، فتبعاه فى سكون إلى الدهليز ، وهمس (ثورنلى) :

ـ هناك غرفة تبدو مهمة .

نظر إليه (ريتشارد) باهتمام .. هل سمع شيئا عندما كان ينتظرهما ؟ .. صرخه ؟ وأسرع الخطا ..

كان الدهليز يؤدى إلى صالة المدخل الرئيسى .. صالة واسعة مربعة ، بها سلم عريض يدور إلى أعلى الحوائط المغطاة بالخشب ، وتوقف (ريتشارد) ينظر إلى (ثورنلى) مرة أخرى ، فأشار إلى أعلى فى الدور الأول ، وصعدوا السلم ببطء وحرص ، وهم يتوقعون أن يُفتح الباب فى أية لحظة ، ويخرج منه سيل من القذائف ، يجعلهم يلتصقون بالحائط ، ولكن الباب لم يُفتح فقد كان سميكًا ، ولم يسمعوا الأصوات من داخل الحجرة ، إلا عندما اقتربوا منه ..

سمعوا صوت رجل ، ثم صوت رجل آخر ، ثم صوت الرجل الأول مرة أخرى ، ونظر (ريتشارد) إليهما ، وهز رأسه .. إن هذا الصوت كان صوت (فون آشنهاوزن) ، وكان يتكلم بالألمانية بصوت غاضب ، مثلما كان صوت الرجل الآخر ..

لم يكونا يتناقشان مع بعضهما ، بل كان كلاهما يكلمان شخصًا ثالثًا بعنـف وقسوة ، وارتفـع صوت (فون آشنهاوزن) ، وأغلق (ريتشارد) عينيه ..

كان يرى أمامه الندبتين العميقتين فى وجهه ، ووصلت إليه كلماته متقطعة :

- ستأسفين على غباوتك .. استغلال إنسانيتى .. خلال ساعتين سيعود جنودى البرابرة كما تسمينهم ، وسأقوم بتسليمك إليهم .. وإذا لم يُجد ذلك .. الجستابو .. قاتلة وجاسوسة خطيرة .

وأصبح الصوت أوضح وهو يتكلم ببرود وقسوة :

- ستكون أيامك القادمة مرعبة ، كما سنقبض على (مايلز) ، ولن تنفعك غباوتك هذه .

ثم تكلم بالإنجليزية ، وهذه المرة بسرعة محاولاً الإقناع :

- تعرفين كيف كانت صلتى بك ، وهذا هو السبب فى أننى أحضرتك إلى هنا .. المفروض أن تكونى الآن فى مقر الجستابو ، ولكن تأكدى أنه على الرغم من كل شىء سأعرف ما أريد .. إذا تعاونت معى ستتذكرين هذه الأيام فيما بعد مثل مجرد حلم مزعج ، وإلا فإن ما لقيتيه هنا لا يقارن بما سيحدث لك .. أنا لا أبالغ فيما أقول .. تكلمى

أيتها الغبية ، قبل أن ينفد صبرى .. (كورت) .. جرب معها طريقتك مرة أخرى ، ربما تقتنع .

لقد سمعوا ما يكفى ، وأشار (ريتشارد) برأسه نحو الباب ، ووضع (فان كورتلاند) يده على المقـبض يتحسسه ..

لم يكن مغلقًا ، ودفعه بشدة ، وفى لحظة كان هو و (ريتشارد) بالداخل ، ووراءهما (ثورنلى) ..

وكانت المفاجأة مذهلة ..

وعلى ضوء الشموع بالغرفة رأوا (فون اشنهاوزن) يجلس على طرف مكتب كبير ، وعيناه على الرجل الآخر ، الواقف إلى جانب الفتاة المقيدة فى المقعد ، وفى لحظة كان (ريتشارد) قد دفعه من فوق المكتب ، وانحنى فوقه ، ويداه تضيق الخناق حول عنقه ، ورقد ساكنًا وهو يكاد يختنق ، وشعرت (فرانسيس) باليد الحديدية تترك كتفها ، وحاولت أن تبعد وجهها عن ضوء المصباح المتوهج أمامها ، وقد سمعت صوت اندفاع الأقدام فى الغرفة ، ولكن الضوء كان يخترق جفونها ويلـهب عينيها ، وكان هناك صوت لكمات شديدة تصيب شخصًا ما ، وتأوهاته مع الضربات المتلاحقة ، ثم سمعت صوتًا يشتم بألفاظ نابية ، وعرفت الصوت .. إنـه

(فان كورتلاند) .. (هنرى) .. وحاولت بضعف شديد أن تتحرك فى قيدها ، من الحبال التى تنغرز فى جسدها ، ثم جاءها صوت (بوب) أيضًا إلى جانبها ، وسمعت المصباح يسقط ، واختفى الضوء المتوهج ، وتوقفت آلام الحبال فى جسدها ، وانحنت إلى الأمام ، ولكن يدًا قوية سندتها بلطف شديد ، وكان صوت (بوب) بجانبها ، يقول لها أن تتحرك ببطء ، حتى تجرى الدماء فى عروقها مرة أخرى ، وألا تقلق وأنها على ما يرام .. كل شىء على ما يرام ..

إذن لابد أن (ريتشارد) أيضًا فى أمان .. كانت تسمع صوت أنفاس الرجلين اللذين يتصارعان أمامها ، و (فان كورتلاند) يصوّب لكماته للرجل (كورت) ، وحاولت فتح عينيها ، واستطاعت أن ترى وجه (ثورنلى) يتضح تدريجيًا أمام عينيها ، وهو يراقب (فان كورتلاند) فى إعجاب وسرور ، وكان الرجل يحاول أن يكسب لحظة ، وأدرك (ثورنلى) ، ولكن قبل أن يصيح محذرًا ، كان الرجل قد تفادى اللكمة ، ووضع يده على جيبه الخلفى ليخرج مسدسه ، رأى (فان كورتلاند) حركة يده فى الوقت ذاته ، وأمسك بمعصم الرجل ، ولفه بقوة ، وانطلقت الرصاصة لتدخل فى الحائط الخشبى ، وانتزع المسدس من يد الرجل ، ولكنه سقط منه على الأرض ،

وتصارع الرجلان على الوصول إلى المسدس تحت أقدامهما ، وفى اللحظة التى تمكن فيها الرجل الألمانى من وضع يده فوق المسدس ، بعد أن دفع (فان كورتلاند) دفعة قوية ، انطلق مسدس (ثورنلى) أولا ، ورقد الرجل إلى جانب مسدسه .

وسمعت (فرانسيس) (ثورنلى) يقول لها مرة أخرى بصوت هادئ واضح :

- هل يمكنك أن تتماسكى الآن يا (فرانسيس) ؟.. سأعود إليك .

هزت رأسها ، وهى تشاهده يساعد (فان كورتلاند) على الجلوس إلى جانب الحائط حيث سقط ، وقال (ثورنلى) :

- لقد جعلت لكماتك وجهه عجينة من الدماء .. لن يستطيع أحد التعرف عليه .

ابتسم (فان كورتلاند) ، وقال :

- كيف حال الآخر .. ذلك الكلب القذر هناك ؟

جاءهم صوت (ريتشارد) يقول :

لقد فقد الوعى منذ دقيقة .. هل (فرانسيس) على ما يرام ؟

عاد (ثورنلى) إليها ، وقال وهو يمسك بها برفق :

- تمهلى يا (فرانسيس) .

وأمسك بالحبل الذى كان يقيدها ولفه ، ثم رماه نحو المكتب ، قائلاً :

- ستحتاج إلى هذا .. سأكون معك فى الحال .

وساعد (فرانسيس) لتسند ظهرها على المعقد ، ونظر إلى الأمريكى .

كان على ما يرام .. لقد فرد ساقيه أمامه فى بطء ، وهو جالس مستند إلى الحائط ، ويداه فى جيبى صديريته ، ونظر (ريتشارد) إلى (فون آشنهاوزن) الملقى أمامه وراء المكتب .. فاقد الوعى ، ويداه مفرودتان ، كل واحدة فى ناحية ، وأمسك الحبل بيد ، ويده الأخرى ما زالت تقبض على عنق (فون آشنهاوزن) ، ولكن يدا واحدة لم تكن تكفى ..

وشعر بغلطته ، فى اللحظة التى أمسك بها الحبل ، وفى أقل من ثانية ، كان (فون آشنهاوزن) قد أطاح بالشمعدان المشتعل من فوق المكتب ، فى وجه (ريتشارد) .

وبينما هو يتعثر من وقع الصدمة ، ويمسح الشمع الساخن من جفنه الأيسر وصدغه ، رأى (فون آشنهازون) وقد أخرج مسدسا من درج المكتب ..

وسمع الطلقات ..

★ ★ ★

رأت (فرانسيس) المسدس موجهًا نحوها ونحو (ثورنلى) ، ودفعها (ثورنلى) بقوة شديدة ، وهى تسمع صوت طلقتين ، ولم تعرف هل أصابتها الطلقات فى رأسها ، أم أن ما تشعر به هو من صدى الصوت الشديد ؟!.. وهوى (فون آشنهاوزن) من أمام المكتب ساقطًا على الأرض ، وكذلك هوى مسدسه من يده ، ووقف (ريتشارد) حيث كان قد تعثر عند الشمعدان المشتعل ، أما (ثورنلى) ، فقد كان على ركبتيه إلى جوار (فرانسيس) ، حيث دفعها ليحميها من الطلقات ، وكان (فان كورتلاند) هو الوحيد الذى يبتسم ابتسامة عريضة ، وهو يشير بارتياح بمسدسه ، الذى ما زال يدخن ، إلى جثة الألمانى ، وقال :

- لقد تعلمت منك بسرعة يا (بوب) .

نظر بعضهم إلى البعض ، وكانوا جميعًا سالمين ، ثم ضحك (ثورنلى) ضحكة قصيرة مرحة ، والتقط (ريتشارد) المسدس ، واتجه إلى (فرانسيس) ، ووضع يده على وجهها ، ورفعت ذراعيها إليه ، وعندئذ شعرت بالألم الشديد ، ونظرت إلى ذراعها اليسرى بدهشة ، وكانت مثل الطفل الذى يسقط ، ولا يشعر بالألم ، إلا عندما يرى الدماء ..

كانت الدماء تسيل من ذراعها ، من جرح غائر به ، وهى تنظر إليه غير مصدّقة ، ثم شعرت بالألم الحقيقى مع نبض قلبها ، وكان (ريتشارد) إلى جانبها ، ينظر إلى ذراعها . ولم يتكلّم ، وقال (ثورنلى) :

- يا إلهى .. الإصابة من الناحية الداخلية للذراع ، قريبة من صدرها .

وقام (فان كورتلاند) من مكانه وهو يعرج ، ثم قالت (فرانسيس) :

- أريد أن أشـ ......

ولم تستطع أن تكمل كلمة (أشرب) ، وبدأت صورهم والحجرة أمامها تهتز فى عينيها ، ثم شعرت بـ (ريتشارد) يحاول أن يسقيها من زمزميته ، ويضع فى فمها أكثر مما تستطيع أن تبلعه ، وقال أحدهم :

- ستكون على ما يرام .. انظر إلى ذراعها .

وأخرج (فان كورتلاند) منديله الأبيض وطواه ، وذهب (ثورنلى) إلى المكتب ، وعاد بزجاجة من شراب قوىّ ، وقال :

- إنها لا تحتاج ذلك الآن .. لقد ذهب عنها الشعور بالدوخة ، ولكنها متعبة .. متعبة جدًا .

لو أمكنها فقط أن تخبرهم .. لابد أن تخبرهم الآن ..

لو أنها فقط استطاعت أن تتذكر الأشياء فى ترتيب سليم متسق ..

وأمسكت بيد (ريتشارد) و (ثورنلى) يسكب بعض الكحول على الجرح ، وجاهدت لتتحكم فى صوتها ، وهى تنظر إلى (فان كورتلاند) ، وقالت :

- لقد أوقفوا سيارتك فى طريق (جينباخ) ، وبها صديقك ، وعادوا به إلى (انز بروك) .. لقد اتصلوا تليفونيًا هنا .. وهذا الرجل ..

ونظرت إلى جثة (كورت) قبل أن تتابع :

- نزل إلى أسفل ، وأرسل الجنديين إلى (انز بروك) .. إنهم يحاولون معرفة تحركاتك .

قال (فان كورتلاند) :

- نعم .. إنهم يعرفون الآن ما حدث .. هذا يعنى أن السيارة التى معنا أصبحت خطرة .

وأضاف وهو يتجه إلى المكتب :

- علينا أن نجد سيارة أخرى ، أو نسافر بالقطار ، أو إذا تأزم الأمر أن نتسلق الممر الجبلى معًا .

ثم توقف فجأة . ومر بيده على شعره ، وقال :

- على فكرة يا (ريتشارد) .. ماذا يستعمل هؤلاء الألمان ، عندما يريدون الدخول إلى البلد ، دون فحص أمتعتهم ؟

ودفع جثة (فون آشنهاوزن) بقدمه فى احتقار ، وحاولت (فرانسيس) أن تتذكر فى جهد شديد .. لقد كان هناك شىء يناسب كل هذا ، وكان (ريتشارد) يقول :

- الفرصة أصبحت ضعيفة أمامهم ، ولكن يمكن لـ (كورتلاند) أن يفتش أدراج المكتب ، وكان (هنرى) يقوم فعلًا بتفتيش جيوب (فون آشنهاوزن) .. ولقد وجد بعض المفاتيح ، وقال (فان كورتلاند) ، وهو يحاول فتح أدراج المكتب :

- هل تشمون شيئًا يحترق ؟

وفتح الدرج ليجد مجموعة من الأوراق ، ونوتة للكتابة ، وختم وختّامة ، وقال (ثورنلى) ، وهو يمسك ذراع (فرانسيس) ، فى حين يقوم (ريتشارد) بتضميده :

- ربما يكون ذلك من الشمع ، الذى سقط على السجادة .

كان (فان كورتلاند) يفحص الأوراق التى وجدها ، ثم أطلق صفيرًا خافتًا من فمه ، وقال :

- هذه أوراق هامة للغاية ..

ثم نظر إلى السجادة ، وقال :

- نعم .. النار أمسكت بها ، وكذلك بسلة الأوراق المهملة .. إنها فكرة جيدة .. بالضبط مثل

(الريجستاج) .. كما يفعلون هم .

وفتحت (فرانسيس) عينيها ، وقد شعرت برنة الابتهاج فى صوته .. وفعلا .. كانت هناك شعلة نار فى سلة الأوراق المهملة ، وكان (فان كورتلاند) هناك عند المكتب ، يقرأ الأوراق التى وجدها بهدوء تام وعدم مبالاة ، ثم كان هناك فوق المكتب المظروف حيث ألقاه (فون آشنهاوزن) من قبل ، قائلًا إن النقود لن تساعدهم ، وقالت :

- النقود .. فى المظروف على المكتب .. لقد فتشونى وأخذوها .

لم يتكلم (ريتشارد) ، ولكنه ضغط أسنانه بشدة ، ليتحكم فى مشاعره ، وحاولت (فرانسيس) أن تتذكر ما قاله لها ، عندما وجد النقود ..

لقد قال : إن النقود لن تفيدهم .. وقال شيئًا مهمًا ، يمكن أن يفيد (فان كورتلاند) ..

ثم انطلقت منها الكلمات بسرعة ، وهى تتذكر :

- لقد قال : إنه حتى لو عبرتم الحدود .. أى حدود ، فإنهم سيتبعونكم ، ويعيدونكم مرة أخرى من (إيطاليا) أو (سويسرا) .. إن لديه تلك السلطة ، وأنتم لن تستطيعوا شيئًا .. لقد أمسك فى يده بعض الأوراق ، وهو يلوّح بها ،

ويخبط بها على المكتب ، وهو ينظر إلىَّ .. لقد قال إنهم أمسكوا (كروستاينر) ، وأن (هنرى) و (بوب) قد اعترفا بكل شىء لينقذا نفسيهما ، وأنهم يعرفون كل تحركاتنا الآن .

وتساءل (ثورنلى) عما قاما به غير ذلك ، حتى يجبراها على الاعتراف ، ورأى معصميها وملابسها الممزقة ، وعلى كتفها علامات الحروق ، وكان خدها الأيمن متورمًا أحمر اللون ، وكذلك العلامات الزرقاء والكدمات فى ساقيها .. ثم تذكّر كلمات صديقه تونى عن (ماريا) .. على الأقل (فرانسيس) ما زالت حية ، وسيشفى جسدها من جراحه ..

لقد أنقذوها من أن تكون (ماريا) أخرى ..

ثم تحرَّك نحو الباب .. وقال :

ـ سأكتشف المكان ، وخاصة (الجراج) .. لا تنتظروا طويلًا هنا ، فالنار ستشتعل فى المكان .

قال (فان كورتلاند) ..

ـ (فرانسيس) .. هل رأيت أين وضع تلك الأوراق التى كان يلوح بها لك ؟

قالت :

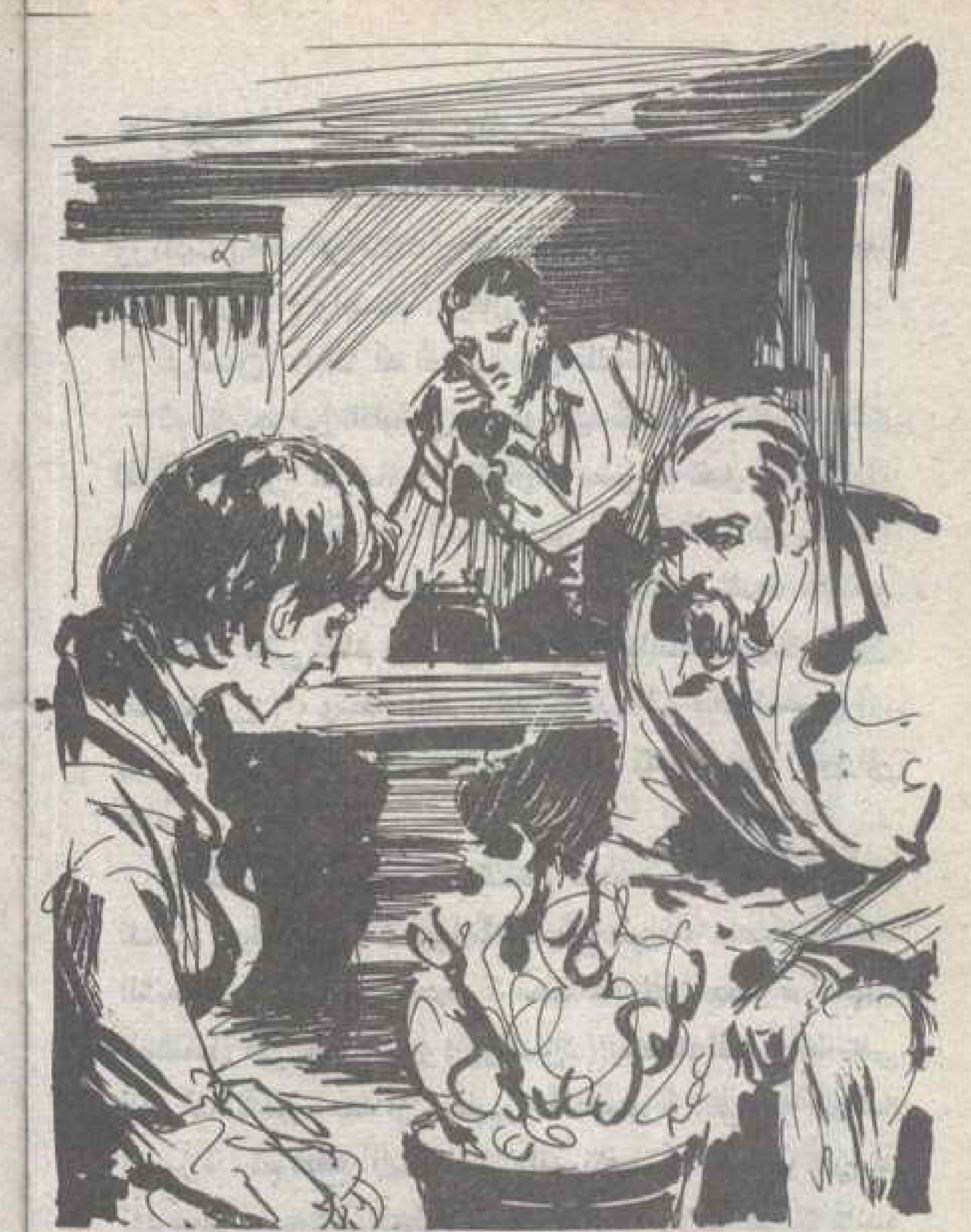
ـ لقد كان عند المكتب .. لابد أنها فيه ..

وفكَّرت .. ربما كان يكذب ، كما كذب بشأن الأشياء الأخرى .. إنه كان يخلط الحقيقة بالكذب بطريقة ماهرة ، وراقبت (فان كورتلاند) وهو يبحث فى المكتب ، ثم ظهر عليه الارتياح وابتسم ، وقال :

ـ حسن .. إننا قد نستفيد من ذلك جيدًا ..

ثم دق جرس التليفون ، نظر إليه ثلاثتهم ، كما لو كان ثعبان الكوبرا ، وسار (ريتشارد) بسرعة نحو التليفون ، ورفع السماعة ، و (فرانسيس) و (فان كورتلاند) ينظران إليه ، وقد حبسا أنفاسهما فى توتر شديد ، ولكن الألمانية التى تكلم بها فى التليفون كانت بصوت (فون آشنهاوزن) ، ونظر (فان كورتلاند) إلى (فرانسيس) ، وهز رأسه بارتياح ، قبل أن يعاود كتابته فى الأوراق أمامه ..

كانت سلة المهملات تشتعل جيدًا ، والسجادة كذلك تدخن ، وقد احترقت فيها ثلاث بقع سوداء ، حيث سقطت الشموع ، وكانت الحجرة مضاءة الآن بضوء اللهب المشتعل فى السلة ، و (ريتشارد) ينصت لقصة ما على الطرف الآخر ، بعد أن تكلَّم برهة قصيرة ، فى لغة ألمانية متميِّزة ، ثم قطع الإيضاحات المستفيضة ، كما لو كان قد نفد صبره ، وقام بإعطاء تعليماته .. إن الأمريكى لا فائدة



وتوقفا قليلًا عند نهاية الممر، الذى يمشيان عليه فى ركن المبنى، ثم استدارا عائدين نحو واجهة القلعة..

ترجى منه .. والفتاة قد تكلّمت ، واتضح أنه لا يعرف شيئًا على الإطلاق ، وعليهم أن يطلقوا سراحه ، بعد أن يعطيهم أوصاف سيارته ، التى أبدلها بسيارة الأمريكى الآخر (فان كورتلاند) ، ومعه الإنجليزى (ثورنلى) ، فى (سانت أنطون) ، ليتمكنوا من اقتفاء أثرهم .. إنهم سيتقابلان مع (ريتشارد مايلز) فى ذلك المكان غدًا ، ثم يتجهون لعبور الحدود السويسرية .. عليهم أن يراقبوا تلك الحدود جيدًا ..

وعاد (ريتشارد) ينصت ، والرجل الآخر يتكلم ، وكانت ألسنة اللهب المتصاعدة تضىء وجهه ، وهو يركز فى سماع ما يقول ، ثم قال :

ـ نعم .. سأسمح لهم بالبقاء فترة أطول .. سأبقى أنا هنا مع (كورت) ، حتى أنتهى من تحقيقاتى .. سأصل إلى (سانت أنطون) غدًا صباحًا .. حاولوا الإمساك بهم أحياء إذا أمكن .. إننى أعتمد عليكم .

وضع (ريتشارد) السماعة ، وهو يفكر ، ثم قال :

ـ ذلك سيجعلهم يطلقون سراح صديقك يا (هنرى) ، ويعطينا فترة نتصرّف فيها .. الجنود قد انتهوا من الاستعراض بنجاح ، وهم الآن يتناولون طعامهم ، قبل أن يذهبوا إلى اجتماع عام .. لقد سمحت لهم بالمشاركة

فيه ، ولن يعودوا قبل العاشرة مساء .. إن الجو أصبح حارًا هنا .. أليس كذلك ؟

وقف (فان كورتلاند) ، وناوله الورقة ، التى انتهى من وضع ختم (فون آشنهاوزن) عليها ، وقال :

ـ ليس حارًا بما يكفى ، ولكنه سيكون كذلك عند الساعة العاشرة ، مع بعض الإضافات من جانبنا .

وذهب إلى الناحية الأخرى من المكتب ، ودفع السلة المشتعلة ، لتسقط فوق السجادة ..

كانت النار قد أمسكت فى المكتب نفسه ، فى الجانب الذى كانت به السلة ، وبدأت ترتفع النيران ، وهو يجمع الأوراق التى فى المكتب ، ويضعها بالقرب من النار ، وطوى (ريتشارد) الورقة بحرص ، ووضعها فى جيبه ، وهو يقول :

ـ إنها ممتازة يا (هنرى) .

وابتسم الأمريكى وهو يضع الشمعدان الآخر تحت الستائر ويفتح النوافذ .. لقد كان كل شىء سهلًا .. كان عليه فقط أن يغير تغييرًا بسيطًا فى الورقة لتناسب غرضهم .. إن هذه ميزة التعامل مع عدو منظم بطريقة روتينية .. إنك تستعير فقط طريقتهم ..

ثم رمى الشمعة الأخيرة فوق الأريكة ، التى عليها

صف من الوسائد ، وقال :

ـ تحرّكوا أيها الرفاق .

ثم أخذ سترتى الرجلين الألمانيين ، وقبعتيهما من فوق المقعد وخرجوا جميعًا ، تاركين الباب مفتوحًا على مصراعيه ، ووقف (ريتشارد) وذراعه حول وسط (فرانسيس) يسندها ، وينظر نظرة أخيرة ، وكان تيار الهواء بين النافذة والباب يقوم بعمله جيدًا ، وقال (فان كورتلاند) :

ـ إنها جنازة عظيمة لهؤلاء الفايكنج .

وساروا فى صمت ، ينزلون السلم ، وهم يسمعون صوت ألسنة النيران تتأجج من ورائهم .

وتلتهم كل شىء .

★ ★ ★

١٣ ـ ممر (برينر) ..

وجدوا (ثورنلى) واقفًا فى انتظارهم فى الظلام ، إلى جوار سيارة كبيرة رسمية ، وقال :

كانت هناك سيارة أخرى ، وبعض الدراجات البخارية ، وقد قمت باللازم ، وعطلتهم جميعًا .

وقال (ريتشارد) ، وهو يضع (فرانسيس) داخل السيارة :

ـ حبيبتى .. لابد أن نحضر السيارة الأخرى ، ومتاعنا الذى فى داخلها .. سأحضر بعد قليل .

ثم قال لـ(ثورنلى) :

ـ سنقابلك على بعد خمسة أميال جنوب هذا الطريق .. انتظرنا هناك .

هزّ (ثورنلى) رأسه ، وأعطاه البطارية ، وقال (فان كورتلاند) ، وهو يلقى الملابس العسكرية داخل السيارة :

ـ ارتد هذه .. سنؤخرك فقط حوالى عشرين دقيقة .

تحرّكت السيارة الكبيرة ، وسار الرجلان نحو الحديقة فى الخلف ، وعندما مروا من أمام باب المطبخ ، تذكّروا فجأة الطباخ المقيّد بالداخل ، وحاول (ريتشارد) دخول

المطبخ ، ولكنهم كانوا قد أغلقوا الباب من الداخل ، ولم يستطيعا كسره ، وقال (فان كورتلاند) :

ـ إننا أغبياء لاهتمامنا به .

ثم جرى إلى واجهة القلعة ، وفتح باب المطبخ من الداخل ، وقال :

ـ لقد فقدنا بذلك خمس دقائق .

ثم حملا الرجل وهو فاقد الوعى إلى الشجيرات البعيدة ، وأخذا يجريان بسرعة ، حتى وصلا إلى الغابة المظلمة الساكنة ، وكان الوقت ما يزال مبكرًا ، قبل أن يرتفع ضوء القمر ، ووضع (ريتشارد) يده على الضوء الصادر من البطارية ليخفّف منه ، وهما يبحثان عن الممر ، ويحاولان قياس المسافة إلى شكل ممتد أسود ، لابد أنه شجيرات العنب ، ثم عرفا طريقهما ، ونظر كل منهما إلى الآخر فى ارتياح ، و(ريتشارد) يسلّط الضوء على الأغصان ، ليجد العلامات التى تركها سكين (ثورنلى) ، واندفعا مسرعين ، ينزلقان نحو الطريق ، ووجدا السيارة هناك ، وقال (فان كورتلاند) :

ـ إننا متأخرون عشر دقائق على الأقل .

ولكن صوته كان مبتهجًا ، ووجد (ريتشارد) نفسه يشعر بالارتياح ، والسيارة تهتز بهما فى الطريق الوعر ،

ثم تسرع بعد ذلك فى طريق (برينر) ..

إن ما كان يبدو مهمة انتحارية منذ ثمان وأربعين ساعة فقط ، قد تحقق بنجاح ، والأمر الآن مجرد بضع دقائق ، قبل أن يروا السيارة الكبيرة السوداء ، وهى واقفة على جانب الطريق ..

كانت النجوم قد بدأت تلمع فى السماء ، فوق (البرينر) ، والرجل الواقف عند بوابة الجمرك يراقب الناحية الأخرى ، والحاجز الأبيض الممتد باهتمام ، وكان يتساءل عما حدث هذه المرة ، فالألمان كانوا يعملون بنشاط ، ويوقفون السيارات الخارجة من (ألمانيا) ، وكذلك الداخلة إليها .. إنه شيء مزعج الانتظار هنا ، وعيناك على الضوء ، وأنت لاتعرف متى ستتقدم السيارة نحوك ، .. فى بعض الأحيان يستغرق الأمر دقائق معدودات ، وفى أحيان أخرى أكثر من نصف ساعة .. وتساءل مرة أخرى عن السبب فى ذلك ؟.. إن هؤلاء الألمان لايخبرونك بشيء إلا إذا كان أمرًا غير مهم ..

واستند على قدمه الأخرى ، ونظر إلى المكتب المضاء ، وراءه ، ونظر إليه الرجل الجالس على المكتب هناك ، وسأله :

- هل هناك مايحدث يا (كورادى)؟

اثنان مازالا واقفين هناك .

ابتسم الرجل الإيطالى الطويل النحيل ، الجالس إلى المكتب بسخرية ، وعاد إلى كتابته ، فى حين تنهَّد الآخر بصوت عال ، ومشى ببطء نحو الحاجز .. إن هذا التوتر مثل مايحدث اليوم دائمًا يزعجه ، وسمع أصوات الآخرين ، وهم يخرجون من المقهى فى الشارع ، وقال لنفسه فى وجوم :

- إنه يحتاج إلى بعض القهوة أيضًا .

وتوقف أمام المقهى اثنان من الموظفين ، ونظرا إلى شارع القرية الخالى من الناس ، وأضوائه الخافتة ..

كان الضوء الوحيد ينبعث من باب مكتب الجمرك ، وقال الشاب الصغير فيهما ، وهو ينظر إلى البيوت القليلة المبعثرة ، والمحطة التى تعوى فيها الرياح ، وقال :

- هكذا المكان لايحتمل .

قال الآخر :

- انتظر حتى تقضى فصل الشتاء هنا .. على الأقل لايمكنك الشكوى الآن من كثرة العمل .. أصدقاؤنا فى الناحية الأخرى يقومون بكل العمل لنا .

ثم أضاف :

- كان بإمكاننا شرب قدح آخر من القهوة .

ولكن صديقه الشاب كان قد مشى فى الطريق ، ووقف ينتظره ، وعاد يقول :

ـ عندما تكون قد قضيت هنا مدة طويلة مثلى ، ستعرف إنه لاداعى على الإطلاق للاهتمام فى يوم مثل هذا .. أقرباؤنا الألمان لن يتركوا لنا شيئا نصادره .

ونظر إليه الشاب بسخرية ، فإن ذلك الرجل لو كانت لديه أية إمكانيات ، لكان الآن فى مكتب مريح ، فى مدينة هامة .. إن طريقته فى الكلام عن الألمان ، وانتقادهم بطريقة ماكرة ومضحكة فى نفس الوقت ، تدل على أنه محدود التفكير . ولكن فضوله تغلب على سخريته ، وقال وقد اقتربا من مكتب الجمرك :

ـ هل هذا شيء مألوف؟

ـ كلما حاول أحدهم أن يهرب من أرض الآباء الحبيبة .

ـ ولكن من الغباء محاولة المرور من هذا الطريق .

ـ ليس هناك غير هذا الطريق ، أو الجبال ، أو القطار .. إن دوريات الحدود قد زاد عددها ، والقطارات مراقبة ويتم تفتيشها .

قال الشاب بحدة :

ـ إنه تنظيم كفء للغاية .

هذا الغبى كان أيضا مكارا .. إنه يختار ألفاظه بحيث

لاتستطيع أن تكتب عنه تقريرًا ، وتبادل الرجل الإيطالى الطويل النحيل ، الذى خرج من المكتب الابتسامات الساخرة مع الرجل الكبير فى العمر ، متجاهلًا ملحوظة الآخر ..

لقد كان كلاهما يشعران بالسأم ، من هؤلاء الصغار وشعاراتهم ، ورأوا أنوار السيارتين الصغيرتين تتحرك أخيرًا ، ووراءهما تقدمت سيارة كبيرة سوداء رسمية ، وبدا على وجه (كورادى) الاهتمام ، وقال :

ـ إنهم لم يوقفوا هذه السيارة .. لقد قاموا بتحية من فيها رسميًا .. من الأفضل عدم إيقافها هنا أيضا .. إنهم لايحبون ذلك .

هزَّ الرجل الطويل النحيل رأسه ، وقال للشاب الصغير :

ـ اهتم أنت بها ، ويمكنك مشاهدة بعض المنظمين الأكفاء ، للتنظيمات ذات الكفاءة العالية .. ربما لديهم أيضا تصريح دبلوماسى .

لم يرد الشاب ، وسار وهو يتظاهر بعدم المبالاة نحو السيارة الكبيرة ، ولكنه يكاد يقفز من الاهتمام داخله .. إن (كورادى) على حق .. الألمان لايحبون الانتظار .. ولوَّح له ذراع يرتدى حلة ضابط بورقة فى يده ، وسمع من

يطلب التعجل بطريقة آمره ، فأخذ الورقة .. لم يكن يتكلم الألمانية بطلاقة كما كان يتظاهر ، ولكنه عرف أن تحيته لهم كانت جيدة .. لقد بدا مهتمًا بعمله تمامًا ، وهو يأخذ الورقة ، وينظر فيها بسرعة .. والتوقيع الذى عليها جعله يحبس أنفاسه .. كان بالسيارة أربعة أشخاص .. كل شىء مضبوط .. وشعر بنظرة الألمانى الباردة إليه .. والفضول يكون من سوء الأدب .. وطوى الورقة بطريقة عملية .. السرعة والأدب .. ذلك سيثبت لهم أنه توجد كفاءة هنا أيضًا .. ورفع يده بالتحية ، والسيارة السوداء الكبيرة تنطلق عبر الحاجز المرتفع ، واستدار نحو الآخرين .. لقد لاحظ أن (كورادى) قد حياهم أيضًا .. ولكن الأغبياء الآخرين كانوا مشغولين بفحص وختم جوازات السفر ، والإجابة بأدب ولطف على ثلاثة من الانجليز الكبار فى السن ، وعندما انتهوا من السيارتين الصغيرتين وانطلقا فى طريق القرية ببطء ، استداروا وسألوا :

ـ حسن .. من كان فى تلك السيارة ؟

وتجاهل ابتساماتهم ، وقال بهدوء مفتعل :

فوهرر (فون آشنهاوزن) ، ومعه ثلاثة آخرون .. إن معهم تصريحًا من ..

ولكن الآخرين لم يهتموا ، وعادوا إلى المكتب ، أما الشاب الصغير فقد بقى فى الخارج ، ينظر إلى النجوم .. لقد كان يشعر بارتياح شديد لتلك الفرصة التى أثبت فيها كفاءته ..

وبسعادة غامرة .



١٤ ـ نهاية الرحلة ..

كانت الرحلة السريعة ، فى طريق (برينر) كابوس مزعج بالنسبة لـ (فرانسيس) .. لقد كانت تشعر بذراعها المتيبسة ، والحروق فى معصمها ، التى يلفحها الهواء البارد ، وكانت منهكة ، وتشعر بالألم فى عضلاتها المشدودة . وحاول (ثورنلى) بلطف شديد حمايتها من اهتزاز السيارة فى الطريق الجبلى ، وأمامهما كان يجلس (ريتشارد) و (فان كورتلاند) ، فى وجوم ، تحت قبعاتهما الألمانية ، ولم تترك عينا (فان كورتلاند) الطريق ، وكانت هناك خريطة مفرودة على ركبتى (ريتشارد) ، وعلى الرغم من أنهم مروا من حدود (برينر) بسلام ، لم يتركهم القلق ولاتوتر أعصابهم ، وأقنع (ثورنلى) (فرانسيس) بأن تأكل قليلا ، وكان يهتم بها فى لطف شديد ، حتى أنها أكلت لتسعده فقط ، وأدهشها أن يختفى شعورها بالغثيان والبرودة ، التى كانت تنتشر فى أطرافها ، وبدأت تشعر بالتحسن والدفء يسرى فى أوصالها ، ولكنها لم تستطع النوم ، على الرغم

من عبورهم الحدود بسلام ، ومن رغبتها فى أن تريح النبض المؤلم فى مقلتيها .

ومضى الوقت ، ومروا عبر الكثير من القرى ، حتى وصلوا إلى (بلزانو) ، واخترقوها أيضا مسرعين بسيارتهم ، وبدأت تشعر بالارتياح ، وتشعر بطعم البسكوت الجاف الذى تأكله .. لقد كان طعمه لذيذا ، وكان الآخرون يأكلونه أيضا ، وهى تنظر إليهم ويغالبها النعاس ، وارتخت عضلاتها المشدودة ، وراحت فى سبات عميق ..

ظنت فى أول الأمر أن (فون آشنهاوزن) يمسك بكتفها ، وينحنى فوقها ، ولكن قبضته لم تكن قوية أو مؤلمة ، ولكنه (ريتشارد) .. (ريتشارد) يحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ (فرانس) :

ثم قبل وجنتها ..

كانت السيارة قد توقفت فى ظلال بعض الأشجار ، وكان هواء الليل يهب فى لطف ، والسماء جميلة بنجومها المضيئة ، وذراع (ريتشارد) حول وسطها ، وفجأة تذكرت (بوب) و (هنرى) ، وهتفت :

ـ أين هما ؟



واتجها إلى الماء ، وغسلا وجهيهما فى الماء البارد ..
كان الجرح فى ذراعها ، من أثر احتكاك الرصاصة به ..

إنهما يغتسلان فى جدول صغير هناك ليستعيدا نشاطهما ، عندما ينتهيان سنذهب نحن .. يمكننا أن نبدل ملابسنا أيضًا ، (هنرى) أحضر أمتعتنا معه فى حقيبته .

نظرت (فرانسيس) إلى الأشجار ، وقد أضاءها نور القمر ، وقالت :

ـ لقد اتجهنا إلى الجنوب .

ـ نحن تقريبًا بالقرب من (فيرونا) .. الساعة الآن الواحدة ، وكل شىء على مايرام .

وقال صوت (فان كورتلاند) :

ـ نعم .. كل شىء على مايرام .. سأحضر الآن ملابسكما ، وسيقودكما (بوب) إلى جدول الماء .

واتجها إلى الماء ، وغسلا وجهيهما فى الماء البارد ..

كان الجرح فى ذراعها ، من أثر احتكاك الرصاصة به ، قد نزف كثيرًا ، ورأى (ريتشارد) ألا ينزع عنه الضمادة ، فمزق قطعة من قميص (هنرى) ، الذى كانا يستعملاه كمنشفة ، وربطها فوق المناديل الملوثة بالدماء ، وكانت الملابس التى أحضروها لها عبارة عن معطف قديم رمادى اللون ، له حزام حول الوسط ، بيريه رمادى ، وكذلك فستان وحذاء وجوارب ذات شكل عادى ، غير ملفت للنظر ، كذلك كانت ملابس (ريتشارد)

لاشكل لها ، قديمة مستعملة ، وصففت (فرانسيس) شعرها ، وحاولت إخفاء الكدمات فى خدها على قدر الإمكان بيدها اليمنى ، وكان من المستحيل أن ترتدى الفستان دون أن ينزف الجرح مرة أخرى ، فساعدها (ريتشارد) لترتدى المعطف ، وكان الحذاء كبيرًا على قدميها ، ولكن لحسن الحظ كانت له أشرطة لتربطه ، ونظر كل منهما إلى الآخر ، وبدت على وجههما ابتسامة ، ثم عادا إلى السيارة ، ومعهما الملابس التى خلعاها ، والفستان الذى لم تستطع ارتداءه ، وقال (ريتشارد) فى مرح :

- يمكنكما أن تضحكا .

وضحك (ثورنلى) و (فان كورتلاند) على منظرهما ، وقال (بوب) :

- منظركما ليس سيئا فى الحقيقة ، فقد رأيت المئات مثلكما فى شوارع (ألمانيا) .

وقال (هنرى) :

- هناك ميزة فى هؤلاء النازيين الملاعين .. إنهم يجعلونك تقدّر السعادة البسيطة فى الحياة الآمنة .

وقاد (ثورنلى) السيارة هذه المرة ، وقاموا بالاتفاق على خطتهم الأخيرة .. يسافر (ريتشارد)

و (فرانسيس) إلى (جرينوبل) ، بجوازات السفر الألمانية ، والتى عليها أختام دخول إيطاليا ، كما أعدّها لهما (شولتز) ، وإذا قبلت محطة السكك الحديدية نقودها من الماركات ، يسافران فى الصباح الباكر ، وإذا لم تقبل فعليهما الانتظار حتى تفتح البنوك أبوابها ، فى حين يقوم (فان كورتلاند) و (ثورنلى) بقيادة السيارة خلال (لومباردى) ، حتى يجعل ضوء النهار قيادة تلك السيارة خطرًا ، وعندئذ يتخلصان منها ، ويتجهان إلى الحدود السويسرية ، إذا لم يكونا قد وصلا إليها قبل طلوع النهار ، فقد كان (فان كورتلاند) واثقًا من أنه يستطيع ذلك ، وقسموا الماركات فيما بينهم ، ووضع (فان كورتلاند) الفستان وقميصين إضافيين لـ (ريتشارد) ، وجوارب فى حقيبة صغيرة لهما ، ولم يستطيعوا التفكير فى أكثر من ذلك ، فالتفاصيل ستعتمد على حسن التصرف والحظ ، وسيتقابلون فى (باريس) ، وأعطاهما (فان كورتلاند) عنوان فندق معين ، وهو يقول :

- ذلك الفندق يديره أمريكى ، يعيش هناك منذ الحرب الأخيرة .. ستكونان فى أمان هناك .. فقط احتاطا ، وتصرّفا بحرص ، حتى تصلا إليه ، وعندئذ سنحتفل معًا .

كان يتكلم فى ثقة وروح مرحة ، ووجدت (فرانسيس)

نفسها تضحك ، ثم بدأت الدموع تسيل على خديها دون توقف ، على الرغم من شعورها بالألم فى عينيها ، وقام (ثورنلى) بإدارة جهاز الراديو بالسيارة ، وانسابت موسيقى خفيفة ، وهى تبكى فى صمت ، ثم قال (فان كورتلاند) :

- المبانى قد بدأت فى الظهور .. من الأفضل أن تستعدا .

كانت (فرانسيس) قد تحكَّمت فى نفسها ، ومسحت وجهها ، ثم وضعت عليه قليلًا من البودرة ، وقالت :

- أنـا مستعـدة .. فى أى وقت .. سنراكمـا فى (باريس) .

وابتسمت وهى تقول :

- آسفة جدا على ماحدث .. لقد تسبَّبت فى إفساد خططكما .

قال (فان كورتلاند) :

- خططى كانت ستفسد على أية حال .

وأوقف (ثورنلى) السيارة ، وقال :

- كذلك أنا .. ليس لدى خطـط يا (فرانسيس) .. لاتفكرى فى ذلك .. لقد وصلنى خطاب من (تونى) مؤخرًا .

- (تونى) ؟

- نعم .. إنه عائد إلى الوطن ؛ ليتطوَّع فى الجيش .

- والفتاه التى فى (تشيكوسلوفاكيا) ؟

شعرت (فرانسيس) فى الحال بالحرج من سؤالها ، وقال (ثورنلى) ، وهو ينظر إلى أسفل :

- لقد انتحرت .

وانحنت (فرانسيس) إلى الأمـام ، ولمست كتف (ثورنلى) بيدها اليمنـى برهـة ، ثم كتـف (فان كورتلاند) ، وساعدها (ريتشارد) على الخروج من السيارة ، ثم قال بصوت حاد ، لم يندهشوا له :

- نعم .. لابد من التعاون الدولى .. هذه ليست النهاية بالنسبة لأى منا .. إنها مجرَّد البداية .

سادت لحظة صمت بينهم ، ثم قام (ثورنلى) بتشغيل محرك السيارة مرة أخرى ، وانطلقت السيارة فى الظلام ، وأمسك (ريتشارد) الحقيبة الصغيرة فى يده ، وذراع (فرانسيس) الأيمن فى يده الأخرى ، وسارا ببطء فى الشوارع المظلمة ، يسترشدان ببعض الأنوار البسيطة المتفرقة ، حتى شاهدا المحطة على بعد ، وأمسكت (فرانسيس) بيد (ريتشارد) ، وضغطت عليها ..

إنها مطمئنة إلى النتائج؛ فلن يوقفهما أحد؛ لأنهما يبدوان مجرّد سائحين عاديين ..

وفوق مستوى الشبهات .

* * *

(تمت)

فوق مستوى الشبهات

كان (هتلر) يجتاح (أوربا) ، بجيوشه وأفكاره النازية ، والعالم كله يجلس على حافة بركان ، ويعلم أن الحرب آتية لاريب .. وكانت المهمة عسيرة ومعقّدة ، ولكنها تحتاج إلى اثنين من الهواة ، ولهذا وقع الاختيار على (ريتشارد) و (فرانسيس)؛ لأنهما من طراز جديد ، و ..

وفوق مستوى الشبهات .

الرواية القادمة

(٧)

(الغيبوبة)



مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

فوق مستوى الشبهات



كان (هتلر) يجتاح (أوروبا) ، بجيوشه وأفكاره النازية ، والعالم كله يجلس على حافة بركان ، ويعلم أن الحرب آتية لا ريب .. وكانت المهمة عسيرة ومعقَّدة ، ولكنها تحتاج إلى اثنين من الهواة ، ولهذا وقع الاختيار على (ريتشارد) و (فرانسيس) ؛ لأنهما من طراز جديد ، و ..

وفوق مستوى الشبهات .

قرش جنيه

العدد القادم : الغيبوبة

الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥